أصل الشيعة وأصولها

أصل الشيعة وأصولها
(مختصر)

الإمام الشيخ محمد الحسين

كاشف الغطاء

إعداد

حياة شمس الدين

مقدمة المحقِّق

كلمة «شيعة» كانت تطلق على من والى آل بيت محمد ﷺ ولا سيما علي وذريته، وقد ظهرت مذاهب أخرى تشعَّبت من الشيعة كالإسماعيلية والزيدية وغيرها، وفرقاً قديمة قد بادّت كالخطابية والأفطحية وصارت من التاريخ.

وكتاب «أصل الشيعة وأصولها» للإمام الأكبر محمد الحسين كاشف الغطاء يبين لنا الأصول التاريخية والدينية لنشأة التشيع، ويبرهن أن الشيعة جزء من الإسلام، وأنهم لا يختلفون عن سائر المسلمين إلا بالقول بإمامة عليّ عليه السلام المنصوص عليه.

وأما الاختلاف في الفروع فشبيه باختلاف أهل السنة فيما بينها، وقد استند الشيخ محمد الحسين بدلائل وقرائن بطرق مختلفة، لا سيّما من طرق أهل السُّنة مما يجعل من هذا الكتاب وثيقة يمكن الرجوع إليها، وقد طبع الكتاب للمرة الأولى سنة 1931 ثم طبع بعدها مرات عديدة.

مقدمة

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

كتاب «أصل الشيعة وأصولها» لسماحة الإمام «محمد حسين كاشف الغطاء» يشتمل على توضيح معتقدات الشيعة وآرائهم، ويجيب عن الكثير من الإتهامات التي ألصقت بالشيعة زوراً وبهتاناً خلال قرون طوية وقد شُحنت بالأكاذيب والأضاليل، وكان سبب ذلك الجهل والتعصب الأعمى، حتى من بعض الكُتاب والأدباء المعاصرين.

والذي يقرأ التاريخ بتجرد وموضوعية، فإنه يجد أن الشيعة قد ظلموا كثيراً، وكل ذنبهم أنهم كانوا وما زالوا يتبعون أهل بيت الرسول ﷺ في دينهم، وأما الذين ظلموهم فهم كانوا وما زالوا يتبعون الأمويين والعباسيين ومن جاء بعدهم.

هذا الكتاب هو من أصدق الكتب وأوضحها بالحقائق البيّنة والواضحة لذلك فقد لقيّ اهتماماً كبيراً من معظم العلماء في العالم ومن جميع المستويات، مما احتاج إلى طبعهِ مرات عديدة تقارب العشرون مرّة وترجم إلى لغات عالمية: كالهندية والفارسية والإنكليزية.

وهو يلقي الضوء على مواضيع مهمة، كانت تثير الجدال بين المذاهب مثل: الإمامة، والتقية، والبداء، والزواج المنقطع، (المتعة) حتى أن الشيعة أنفسهم لا يعلمون مقاصدها الحقيقية.

حياة شمس الدين

التعريف بمؤلف الكتاب

الإمام محمد حسين كاشف الغطاء هو من أسرة تزعَّمت الحركة الدينية في النجف نحو مائة وثمانون سنة، جدَّه صاحب كتاب «كشف الغطاء» المعروف وقد توالى من بعده إخوته وأبناؤه وأحفاده الذين كثر فيهم العلماء والمجتهدون، إلى أن لمع اسم الشيخ محمد حسين وصار مرجعاً عاماً.

له الكثير من المؤلفات بالرغم من مشاغله الكثيرة بحكم مركزه الديني، وقد احتفظ تلامذته واصحابه بعشرات المجلدات الضخمة التي سُجلت فيها محاضراته في أبواب الفقه والحديث والكلام.

وهذا الكتاب (أصل الشيعة وأصولها) تمَّ طبعه ما يقارب العشرون طبعة، وقد قرأه الكثيرون من كل أنحاء العالم وعدد من المستشرقين، وقد أرسلوا الرسائل يعبرون عن إعجابهم به، وقد شهدت له جوامع القاهرة والقدس وبغداد وكراتشي وطهران والنجف الكثير من المحاضرات منها محاضرات على طلاب الأزهر الشريف وبعض الكنائس. عندما زار القدس سنة 1350هـ بدعوة من المؤتمر الإسلامي الأعلى الذي انعقد في فلسطين، وقد أمَّ المصلين المشاركين في المسجد الأقصى وخطب فيهم وتجوَّل بعد ذلك على مدن حيفا ونابلس ويافا.

وفي بداية الحرب العالمية الأولى، شارك في الجهاد مع الشعب العراقي ضد الإنكليز المحتلين وعندما سنحت له الفرصة بلقاء السفير البريطاني صارحه بالأعمال المنكرة التي قام بها الإنكليز في شرق الأرض وغربها وحمَّل بريطانيا المسؤولية عن ضياع فلسطين، ومعاونتهم للصهائينة لاحتلال الأرض المقدسة واستعباد أهلها وتشريدهم في كل بقاع الأرض.

وبعد ذلك اجتمع بالسفير الأميركي وعنَّفه على مساهمة الولايات المتحدة في تثبيت أقدام الصهاينة بأرض فلسطين وقال له: «إن القلوب دامية منكم معاشر الأميركيين لأنكم طعنتمونا طعنةً نجلاء في الصميم لا يمكن السكوت عنها.

تُرجم هذا الكتاب إلى لغات عالمية، كالإنكليزية والهندية والفارسية.

وكان الدافع للإمام هو ما كان يسمعه من هجمات بعض الكتَّاب الأدباء المعاصرون من حملات كانت تشنّ على الشيعة وقد شُحنت بالتهم والأكاذيب، مع العلم بأن مساكن الشيعة لا تبعد عن مساكن السنَّة إلا بضعة أميال في معظم البلاد الإسلامية، والأعجب من ذلك هو ما كتبه بعض الكتّاب ممن يدَّعون أنهم علماء ومحققون، وكتبهم مليئة بالتناقض والتضليل مما يضحك الأطفال ويدمي القلوب في آن واحد لتشويه طائفة إسلامية جاهدت وضحَّت وما تزال من أجل الدفاع عن الإسلام وهي بريئة من هذه التهم المليئة بالعجائب والغرائب.

ولد الإمام كاشف الغطاء في مدينة النجف عام 1876م، وتوفي سنة 1954، ونقل جثمانه الشريف إلى مقبرة خاصة في وادي السلام، تغمده الله برحمته.

مقدمة الطبعة الثانية بقلم المؤلف

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

كيف يتحد المسلمون؟

﴿وَٱعْتَصِمُواْ بِحَبْلِ ٱللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُواْ﴾

لم يبقَ مسلم في شرق الأرض وفي غربها إلا ويشعر اليوم بضرورة الوحدة الإسلامية، لأن هذا الشعور هو أمر وجداني يحس به كل فرد مسلم سليم القلب كما يحس بعوارض المرض في صحة جسمه، وهذه الامراض التي أصابت الأمة، بحاجة إلى دواءٍ شافٍ حتى لا تهلك. وتندثر.

لقد صرخ المصلحون على مدى التاريخ الإسلامي بأن لا دواء للأمة إلا بالاتفاق والوحدة ونبذ الفرقة والأحقاد وبواعث الأحقاد، وانضمام الجميع تحت راية لا إله إلا الله محمد رسول الله.

وبفضل هؤلاء الرجال المصلحون لا يزال المسلمون يتعلقون بالآمال، ولكننا ما زلنا ندور حول القشور، ولا نعرف كيف نصل إلى اللب، ولذلك تجدنا لا نزال في انحدارٍ وإخفاق، ويستحيل على المسلمين لو بقوا على هذه الحال أن تقوم لهم قائمة، وإذا لم يندفعوا إلى العمل الجدّي وإلى نزع الغلّ والحقد من القلوب، وأن يحب المسلم أخاه المسلم ما يحب لنفسه، وإن كان ذلك عسيراً فلا أقل من التناصف والتعادل، فلا يجحد المسلم لأخيه حق ولا يلجأ إلى الحرص والغلبة والإستئثار والحسد والتنافس، فإن هذه الرذائل تنتهي بالأمة إلى

أحط مهاوي الشقاء والتعاسة، وهذا ما نجده اليوم نتيجة لحب الإثرة والأنانية، وهو سبب لزوال النعمة وهلاك الأمَّة.

إن التاريخ يحدثنا ويشهد على أن هذه الآثام والصفات تؤدي إلى فناء الأمم وتفتح للاستعمار الباب للسيطرة على البلاد.

أما إذا كانت الآراء مجتمعة والقلوب متآلفة فيكون العزُّ والبقاء والقوة، وليتذكر المسلمون كيف كانوا قبل الإسلام يعيشون في البلاد ونيران الحروب والغارات والدماء المهدورة، ثم كيف أصبحوا بعد أن جمع الإسلام كلمتهم وأصبحوا حكَّاماً على العالمين، ثم دارت الدوائر والأيام دوَل، وأصبح المسلم لا يجد من أخيه إلا القطيعة ولا يرتقب منه إلا المخاوف ويحذر منه أكثر مما يحذر من أعداء الأمَّة الحقيقيون.

والاتحاد يكون بتبادل المنافع والتشارك في الأموال التي يجب أن تعود على الأمة الحقيقيون. والاتحاد يكون بتبادل المنافع والتشارك في الأموال التي يجب أن تعود على الأمة كلها بالعدل والقسط، فإذا كان قطر من الأقطار محتاجاً وفقيراً، فالواجب أن يكون شقيقاً للآخر الغنيّ، وأن يرث من ثروة الأمة كما يرث الأشقاء من ابيهم فلا يستأثر فريق على الآخر ويستبد بحظّهِ ويشحّ على أخيه: ﴿وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفۡسِهِۦ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُفۡلِحُونَ﴾.

وليس معنى الوحدة في الأمة أن يهضم أحد الفريقين حقوق الآخر فيصمت ويسكت عن حقه، ولكن العدل هو الذي يجمع ولا يفرّق وعلى الجميع أن ينصروا المظلوم.

والمسلمون اليوم يعرفون حتى الأبكم منهم والأصم، أن لكل قطر من الأقطار الإسلامية الغنية، حوتاً من حيتان الغرب، وأفعى من أفاعي الإستعمار فاغراً فمه لالتهام خيرات كل قطر على حدة.

إننا نرى اليوم البعض يدعون إلى التنابذ والجفاء وإن من ينظر إلى أحد الكتاب (النشاشيبي) وإلى فذلكته عندما يغمز ويلمز ويوهن بأهل البيت النبوّة عليّ وفاطمة والحسنين سلام الله عليهم، وينكر أي فضيلة لهم، حتى آية التطهير،

فيقول: إنها مختصة بزوجات النبي ﷺ وبالأخص عائشة، وأما فاطمة بضعة رسول الله فخارجة حتماً عنده.

وهكذا آية المباهلة، وآية القربى، فكلها عنده كذب وباطل حتى الأحاديث المروية في الصحاح عن أهل البيت.

وغيره الكثيرون من الكتّاب الذين يغمزون بالشيعة وأئمتهم وقد يقابلهم بعض الشيعة بالمثل وينالوا من كرامة الخلفاء الراشدين ويتحامل عليهم، ولينظر الفريقان إلى أين ينتهي المسلمون من هذا الإنحدار السريع وإلى أي هوة سحيقة، وما ذنب الشيعة سوى موالاة أهل بيت نبيُّهم ﷺ. ولكن مع ذلك علينا أن لا نيأس من روح الله ورحمته، وعلى عقلاء الفريقين أن يضربوا الأيدي التي تنشر تلك النشرات الخبيثة التي هم السُّم الذي يُزهق روح الإسلام. هذا البصيص من الأمل دعانا إلى إعادة طبع هذا الكتاب ثانياً لأن فيه من الإرشادات والمعلومات الضرورية لقيام كل مسلم بحسب وسعه وطاقته أن يعمل لإعادة الإخاء والوحدة بين عموم فرق المسلمين، وأول شرطٍ لذلك هو سدُّ باب المجادلات المذهبية وإغلاقها تماماً، وإذا أراد أحد التنويه بمذهبه فعليه أن لا يمسَّ مذهب غيره بسوء ولا غميزة، والشرط الثاني أن يعقد المسلم قلبه على الإخاء الصحيح وأن يحب لأخيه ما يحب لنفسه ويبرأ من كل حقد وحسد ومنافسة على المصالح الفردية كما هو الحال السائد عند الجميع.

وعلى المسلمين أن يعقدوا المؤتمرات في كل عام أو عامين يجتمع فيه عقلاء المسلمين وعلماؤهم من كل الأقطار النائية ليتعارفوا ويتداولوا في شؤون الأمة الإسلامية ويؤلفون جبهة واحدة ضد الأخطار التي تحدق بهم من كل جانب.

بواعث التأليف

السبب الباعث على كتابة هذا الكتاب، هو أنه منذ فترة كتب إليَّ شاب عراقي من البعثة العلمية التي أرسلتها الحكومة العراقية إلى القاهرة، وكان هذا الشاب يجتمع بكبار علماء الأزهر وكان يجري الحديث بينهم، وكانوا يُبدون الإعجاب والثناء بعلوّ معارف الطلاب العراقيين، ولكن يقولون للأسف إنهم شيعة، ويقول الشاب: كنت أستغرب ذلك وأقول لهم: وهل الشيعة إلا مذهب من مذاهب الإسلام؟ فيقول قائلهم: كلا ليست الشيعة من مذاهب الإسلام، وإنما هي طريقة ابتدعها الفرس وليس لها أيّ علاقة بالإسلام ولا بالأديان السماوية.

ثم أخذ الشاب يتوسل إليَّ أن أكشف له عن صميم الحقيقة والواقع، فكتبت له ما استطعت الإختصار وما يلائم عقل ذلك الشاب، ولكني حملت بعد ذلك مشاعر الاستغراب أضعاف ما كان يحمل، وتساءلت كيف يمكن أن يبلغ الجهل والعناد بعلماء بلاد هي في طليعة المدن العلمية الإسلامية.

أخطاء أحمد أمين:

في تلك الآونة وقع تحت يدي كتاب للكاتب الشهير «أحمد أمين» فوجدته يكتب عن الشيعة كخابط عشواء، ولو أن رجلاً من أقاصي الصين كتب عنهم هذه الكتابة لم يكن معذوراً، وقلت في نفسي إن كان مثل هذا الرجل يكتب كتاباً يريد نشرهُ في الأمة الإسلامية الواحدة التي جعلها الله إخواناً بنص القرآن، فعليه أن يستطلع أحوالهم والوقوف على حقيقة أمرهم عن كثب، لا أن يسترسل ذلك الاسترسال ويتقوَّل تلك الأقاويل، إذن ما حال الرعاع من عامة المسلمين؟

ولو عرف المسلمون حقيقة مذهب الشيعة وأنصفوا إخوانهم لأماتوا تلك الكتب والنشرات الخبيثة التي تثير الضغائن وتُسعد المستعمرين، أفلا يثير الحقد والشحناء أحمد أمين عندما يقول في كتابه «فجر الإسلام» أن التشيُّع كان مأوى يلجأ إليه كل من أراد هدم الإسلام، إلى آخر أقواله...

ألا يعلم أن هذه الأقوال تجرح أمّة تُعدُّ بالملايين وتتكون منها طائفة كبيرة من المسلمين؟

جهل الخاصة والعامة:

ومن الغريب أن أحمد أمين زار النجف الأشرف وحظيّ بالتشرُّف بتلك الزيارة مع الوفد المصري المؤلف من حوالي ثلاثين مدرَّس وتلميذ ومكثوا ليلة من ليالي رمضان في زيارتنا فعاتبناه على تلك الهفوات وصفحنا عنه صفحاً جميلاً، وقلنا له سلاماً، وكان أقصى ما اعتذر به هو عدم الإطلاع وقلَّة المصادر.

أليس على من يريد أن يكتب أن يطَّلع ويتقصَّى، ومكتبات الشيعة مشتملة على أكثر من خمسة آلاف مجلّد أكثرها من كتب العلماء السّنة وهي في بلدة كالنجف فقيرة في كل شيء، إلا من العلم والصلاح إنشاء الله، ومكتبات القاهرة ذات العظمة والشأن خالية من كتب الشيعة إلا أشياء لا قيمة لها.

نعم، القول لا علم لهم أي شيء عن الشيعة، وهم يكتبون عنهم كل شيء!

والأغرب من ذلك أن الكثير من سنّة العراق، لا يعرفون من أحوال الشيعة شيئاً مع دنوّ الدار وعصمة الجوار.

كتب إليّ قبل بضعة أشهر شاب من شيعة العراق يقول: أنه سافر إلى لواء الدليم وهو إقليم قريب من بغداد وأكثر أهاليه من السنَّة، فكان يحضر نواديهم ويتحدث إليهم، ولما علموا أنه من الشيعة صاروا يتعجبون ويقولون: ما كنا نحسب أن في هذه الفرقة أشخاص بهذا المستوى من الأدب والتهذيب ولهم علمّ ودين، وكان هذا الشاب يحثُّني أن أكتب رسالة موجزة تنشر بين الأمم الجاهلة

وتعرِّفهم ولو بالنزر اليسير من أحوال الشيعة ومعتقداتهم، ثم بعد فترة سافر هذا الشاب إلى سوريا وعرَّج منها إلى مصر، فكتب لي: يا سيدي، الحال عند أهل مصر هي نفس الحال عند أهل الدليم، ثم يقول لي: آما آن لك أن تفي بوعدك وتقوم بواجبك؟ فإن صورة الشيعة أبشع صورة يتصورها إنسان..

تفنيد آراء أحمد أمين:

لقد رأيت من الظلم الفاحش السكوت والتغاضي عن هذه الكارثة وغيرها ممن تنشر مقالاتهم في كل فترة، من قذف الشيعة بكل عظيمةٍ وهضيمة هم منها براء، ولكن داء الجهل والعصبية هو الداء الذي أعيا الأطباء، وينبغي أن يُرفع هذا الجهل عن المسلمين.

يقول أحمد أمين: «التشيع مأوى لكل من أراد أن يهدم الإسلام أو إدخال تعاليم اليهودية والنصرانية والزرادشتية، وقال: أن الشيعة يقولون أن النار محرَّمة على الشيعة إلا قليلاً، كما يقول اليهود: ﴿وَقَالُواْ لَن تَمَسَّنَا ٱلنَّارُ إِلَّآ أَيَّامًا مَّعۡدُودَةٗۚ﴾ وقولهم أن الإمام هو كالمسيح، وقال: أن الشيعة يؤمنون بتناسخ الأرواح وتجسيم الله والحلول كما يقول البراهمة والمجوس قبل الإسلام، إلى آخر... ما قال.. ونحن لولا المحافظة على الصفاء ومنع اشتعال النيران لفعلنا مثله وكان ردُّنا هو تبيان من أراد هدم قواعد الإسلام ومن يسعى لتمزيق الأمة بالتفرقة، ولكن الحكمة تقول: «لا تنه عن خُلُقٍ وتأتي بمثلهِ» ولكن نريد أن نسأل الكاتب أحمد أمين: أي طبقات الشيعة أرادوا هدم الإسلام؟..

هل هم الطبقة الأولى من أعيان صحابة النبيّ وأبرارهم:

كسلمان الفارسي، وأبي ذر الغفاري، والمقداد، وعمّار، وخزيمة ذي الشهادتين، وابن التيهان، وحذيفة بن اليمان وحبر الأمة عبد الله بن عباس وأخوه الفضل الذي قتل في وقعة الحرَّة وهو في الرابعة والعشرون من عمره، أو هاشم بن عتبة بن أبي وقاص الذي قاتل مع عليّ في صفين، وأنس بن الحارث الذي

سمع النبيّ يقول: إن ابني الحسين يُقتل في أرضُ يقال لها كربلاء، فمن شهِد ذلك منكم فلينصره» فخرج أنس[1] وقُتِل مع الحسين، ولو أردت أن أعدَّ لك أسماء الشيعة من صحابة النبي لاحتجت إلى كتابٍ ضخم، وقد كتب علماء الشيعة الكتب التي يذكر فيها أسماء مشاهير الصحابة من بني هاشم كحمزة وجعفر وعقيل ونظائرهم، بالإضافة إلى جيش من الصحابة، وفي كتب تراجم الصحابة، وُجد أسماء زهاء ثلاثمائة رجل من عظماء أصحاب النبي كلهم من شيعة عليّ عليه السلام.

ولكن ما أدري أهؤلاء الذين أرادوا هدم الإسلام؟ أم إمامهم عليّ بن أبي طالب الذي يشهد الثقلان أنه لولا سيفه ومواقفه في بدر وأُحد وحنين والأحزاب لما أخضرَّ للإسلام عود وما قام له عمود، ولولا شجاعة عليّ وحماية أبيه أبي طالب قبل الهجرة لقضت قريش وذئبان العرب على الإسلام في عهده، وكان جزاء أبي طالب أن حكم عليه المسلمون بأنه كافر، والواقدي وهو أقدم مؤرخي الإسلام ومن حفَّاظ الحديث وقد ذكره ابن النديم ونصَّ على تشيعه، وإسم تفسيره «الرغيب» ومؤسس علم الحديث وهو أبو رافع مولى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم صاحب كتاب الأحكام والسنن وهو من المختصين بأمير المؤمنين عليه السلام وصاحب بيت مالهِ بالكوفة، ثم تلاه ولداه عليّ بن أبي رافع كاتب أمير المؤمنين وهو أوَّل من أسَّس الفقه بعد أبيه وأخوه عبيد الله بن رافع وهو أول من ألَّف في التاريخ وضبط الحوادث والآثار؟...

أم مؤسسوا علم الكلام؟ أبو هاشم ابن محمد بن الحنفية، وقد ألف فيه كتباً جليلة، وعيسى بن روضة، ثم تلاهما واصل بن عطاء، وأصحاب الصادق مثل محمد بن علي الأحول المعروف عندنا بمؤمن الطاق، وآل نوبخت وهم عائلة جليلة استمرت سلالتهم أكثر من مئة سنة ولهم مؤلفات مهمة، وهشام بن الحكم شيخ الإمامية في وقته، وغيرهم الكثير من أصحاب الصادق عليه السلام هؤلاء

---

(1) الإصابة والاستيعاب وهو من أوثق كتب السنّة.

الذين دوّخوا علماء المذاهب من المسلمين والملاحدة وغيرهم في الجدل والاحتجاج حتى سدّوا عليهم الطرق في التوحيد والإمامة وغيرها، ولو أن أحداً أراد أن يجمع مناظرات هؤلاء الأصحاب لجاء عن كل واحد منهم بكتاب شامل، وعلى الأخص منهم هشام بن الحكم، ولو أردنا أن نُحصي فلاسفة الشيعة وحكماءها ومتكلمينها لاستوعب ذلك مجلدات عديدة. قل لنا يا صاحب فجر الإسلام، أهؤلاء الذين أرادوا هدم الإسلام؟

أم الذين أسّسوا علم السير والآثار: الذين دوّنوا سيرة النبي ومعجزاته وكراماته وكرم أخلاقه، وأولهم أبان بن عثمان الأحمر، ومن مؤلفاته «المغازي» وهو من أصحاب الصادق عليه السلام والكثير غيرهم، وجميع هؤلاء من أعلام الشيعة باتفاق الجميع، ثم تلاهم أعظم المؤرخين كالبرقي وهو كوفي الأصل ومن أصحاب الجواد والهادي، ونصر بن مزاحم وهو كوفي أيضاً ومن كتبهِ «الغارات» و«الجمل» و«مقتل الحسين»، واليعقوبي أحمد بن إسحاق المطبوع تاريخه في أوروبا والنجف ومن كتبه «تاريخ اليعقوبي» و«المسعودي» صاحب مروج الذهب اسمه علي بن الحسين بن علي أبو الحسن، ومحمد بن علي ابن طباطبا العلوي وكان نقيباً للعلويين في النجف والكوفة والحِلَّة والكثير غيرهم من أمثالهم.

ومن الطبقة الأولى من الصحابة: وأولهم النابغة الجعدي العامري شهد صفين مع أمير المؤمنين عليه السلام وله أراجيز مشهورة في تلك المعركة، وعروة بن زيد الخيل بن مهلهل الطائي وهو من رجال الفتوح في صدر الإسلام شهد صفين مع عليّ، وكعب بن زهير صاحب قصيدة «بانت سعاد» وأبو الطفيل عامر من وائلة المشهور، وأبو الأسود الدؤلي، وكعب بن زهير، وكثيرٌ من نظرائهم.

ومن الطبقة الثانية من التابعين: «الفرزدق الذي قيل لولا شعره لذهب نصف أخبار الناس، ولذهب ثلث لغة العرب والكميت وهو شاعر الهاشميين وقد ترجمت أشعاره إلى الألمانية، وكُثير عزّه وهو من غلاة الشيعة وشاعر أهل الحجاز، والسيد الخميري وهو شاعر إمامي متعصّب لأهل البيت ويذم أعداءهم، وقيس من ذريح الكناني الذي كان أخاً للحسين من الرضاعة لأن أم قيس أرضعت الحسين، وأقرانهم.

والطبقة الثالثة من بعدهم من التابعين:

كدعبل الخزاعي وقد هجا الرشيد والمأمون والمعتصم والواثق وهو الذي قال: أحمل خشبتي على كتفي منذ خمسين عاماً وانتظر من يصلبني عليها، وأبو نواس وأبو تمام والبحتري وهو شاعر كبير يقال عن شعره سلاسل الذهب، وابن الرومي وهو من طبقة بشّار بن برد والمتنبي.

إن معظم شعراء الدولة العباسية كانوا من الشيعة ما عدا مروان بن أبي حفصة وأولاده.

ومن الطبقة الرابعة من التابعين في القرن الرابع:

وهم مجموعة كبيرة من الشعراء، منهم: أبو فراس الحمداني وهو الحارث بن سعيد بن حمدان التغلبي، وهو أميرٌ وفارس، قال فيه الصاحب بن عباد: بدأ الشعر بملك وخُتم بملك يعني امرؤ القيس وأبا فراس، وأبو بكر الخوارزمي، والبديع الهمذاني، والطغراني، والمهيار الديلمي، وغيرهم الكثير، وفي كتاب «يتيمة» للثعالبي وهو من أئمة اللغة والأدب وأكثر الشعراء التي ذكرهم في كتبه هم شيعة وهي أربع مجلدات، حتى اشتهر وشاع من يقول: «هل ترى من أديب غير شيعي» والمتنبي وابو العلاء المعري الأديب والفيلسوف تشهد بعض أشعارهم بالتشيع.

أما شعراء الشيعة من قريش خاصة: مثل الفضل بن العباس وأبي دهبل الجمحيّ، ووهب بن زمعة.

ومن العلويين خاصة: كالشريفين الرضي والمرتضى وكان الرضى نقيب الطالبين، والشريف محمد بن جعفر بن زيد بن علي بن الحسين عليه السلام وكلهم شعراء، إلى الكثير من أمثالهم.

من شعراء الشيعة العلويين:

ومن الشعراء الأمويين الشيعة: مثل عبد الرحمن بن الحكم بن أبي العاص

الأموي، وكان حاضراً عند يزيد بن معاوية لما جيء برأس الحسين عليه السلام وعندما رآه عبد الرحمن، قال:

سميَّة أمسى نسلها عدد الحصى وبنتُ رسول الله ليس لها نسل

ومروان بن محمد السروجي من أحفاد مروان بن الحكم وهو شاعر شيعي سكن مصر، وقد ذكره الزمخشري في ربيع الأبرار، وأبي فرج الأصفهاني صاحب «الأغاني»، و«مقاتل الطالبين» وهو أموي شيعي.

ومن أكابر الوزراء الشيعة في الإسلام، مثل: إسحاق الكاتب وابن سلمة الخلال أول وزير لأول خليفة عباسي وهو السفاح وقد فوَّضه جميع أمور الدولة ثم قتله حين أحسَّ منه بالتشيُّع لآل عليّ عليه السلام ويعقوب بن داوود وزير المهدي وعندما علم بأنه شيعي حبسه إلى أن أخرجه الرشيد، ومن بيوتات الوزراء من الشيعة بنو بخت، وبنو سهل وزراء المأمون، كالفضل بن سهل، والحسن بن سهل، ووزيرا ركن الدولة العباسي، وبنو طاهر الخزاعي وزراء المأمون، والصاحب بن عباد لُقِّب بالصاحب لمصاحبته مؤيد الدولة الفاطمية منذ صباه والأفضل أمير جيوش في مصر وأولاده، وابن النديم صاحب كتاب «الفهرست» اقدم التراجم وأفضلها، والكثير غيرهم يضيق إحصاء ذكرهم، ولو أردنا ضبط جميع سلاطين الشيعة ومن تقلدوا الوزارة والإمارة والمناصب العالية لعِلمهم وعظيم خدماتهم للإسلام لما وسعتهم المجلدات الضخمة، وقد تصدى والدُنا إلى تراجم طبقات الشيعة من علماء وحكماء وسلاطين ووزراء وأطباء وقسَّمهم على ثلاثين طبقة كل طبقة مرتَّبة حسب حروف المعجم وسماه «الحصون المنيعة في طبقات الشيعة» فكتب عشر مجلدات ضخام ولم يأتِ إلا على القليل منهم، ولكننا نريد أن نقول لصاحب «فجر الإسلام» إن كان هؤلاء الذين ذكرناهم وأضعاف أمثالهم من رجال الشيعة الذين أسَّسوا علوم الإسلام وشادوا دعائمه هم الذين يريدون هدم الإسلام، وأنت وأستاذك الدكتور... وزملاؤكم هم الذين شيَّدوا الإسلام، إذن فعلى الدنيا السلام وعلى الإسلام السلام.

وقد قال أمير المؤمنين عليه السلام: لسان العاقل وراء قلبه، وقلب الجاهل وراء لسانه.

أما قوله: إن اليهودية ظهرت في التشيُّع وبالقول بالرجعة وأنها أصل من أصول الشيعة وركن من أركان مذهبها!..

وهل هذا مبلغ علمك عن طائفة الشيعة؟ أليس كان أحرى بك السكوت وعدم التعرض لها.

والجواب على ذلك هو أن التدين بالرجعة في مذهب التشيع ليس بلازم ولا إنكارها بضار، وهذا الاعتقاد لا تأثير له على أساس العقيدة، فهو كبعض أنباء الغيب وأشراط الساعة ونزول عيسى من السماء وظهور الدجال وخروج السفياني وأمثالها من الأمور الشائعة عند المسلمين، وليس إنكارها خروج عن الإسلام، وليس الاعتراف بها دخولاً فيه، وكذلك الرجعة عند الشيعة، ولنفترض أنها أصل من أصول الشيعةن فهل يوجب ذلك أن تكون اليهودية قد ظهرت في التشيع؟

وأي غرابة واستحالة في القول أن الله سبحانه سيحيي جماعة من الناس بعد موتهم، وأي نُكر في هذا بعد أن وقع مثله بنصّ القرآن الكريم، الم يسمع هؤلاء الآية التي تقول: ﴿أَلَمۡ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ خَرَجُواْ مِن دِيَٰرِهِمۡ وَهُمۡ أُلُوفٌ حَذَرَ ٱلۡمَوۡتِ فَقَالَ لَهُمُ ٱللَّهُ مُوتُواْ ثُمَّ أَحۡيَٰهُمۡۚ﴾ [البقرة: 2].

وأنا هنا لا أريد أن أثبت صحة القول بالرجعة، وليس لها عندي أي اهتمام، ولكني أردت أن أدلّ صاحب فجر الإسلام وغيره على اتهامهم وسوء تحاملهم على الشيعة.

ويقول أحمد أمين: إن الشيعة تقول: أن النار محرّمةً على الشيعي إلا قليلاً، ولا أدري بأي كتاب من كتب الشيعة وجد هذا الكلام، وهل يليق برجل أراد النقد والتمحيص في المذاهب والأديان، أن يقذف طائفة من المسلمين بشناعةٍ لا يأتي عليها من شاهدٍ أو برهان! وهذه كتب الشيعة تُجمع بأن الله خلق الجنَّة لمن أطاعهُ ولو كان عبداً حبشياً، وخلق النار لمن عصاهُ ولو كان سيّداً قرشيًان ويُجمع أئمتهم على مثل ذلك بأحاديث لا تحصى.

نعم إن الشيعة يؤمنون بالشفاعة من النبي والأئمة لبعض المذنبين، وهو باب آخر، والشفاعة هي من ضروريات الإسلام.

ويقول أحمد أمين: إن الشيعة يقولون عن الإمام كما يقول النصارى عن المسيح، ولكن عليه أن يذكر من هو القائل بهذا القول من الشيعة، وإذا كان يقصد غلاة الشيعة من بعض الفرق التي انقرضت كالقرامطة الملحدون ونظرائهم فمن الظلم أن تنسب إلى الشيعة الإمامية وأئمتهم، فهم يبرأون من تلك الفرق براء التحريم، وتلك الفرق لا تقول كما يقول النصارى، وخلاصة مقالتهم أن الله تعالى يكون له اتحاداً أو حلولاً أو نحو ذلك مما يقول به الكثير من متصوفة الإسلام ومشايخ الطرق، كما كان يقول الحلاج والكيلاني والرفاعي والبدوي وأمثالهم من الشطحات مما يدل بظاهره أن لهم منزلة من الألوهية، وقريب من ذلك يقول به أرباب وحدة الوجود أو الموجود.

موقف الشيعة من هذه المقالات:

إن الشيعة الإمامية وهم شيعة العراق وإيران وملايين المسلمين في الهند ومئات الألوف في سوريا وفي أفغانستان فهؤلاء جميعهم يبرأون من تلك المقالات ويعدونها من أشنع المقالات ويعدونها من أشنع الكفر والضلال، وليس دينهم إلا التوحيد المحض، وتنزيه الخالق عن كل مشابهة للمخلوق، وهذه مؤلفاتهم في الحكمة والكلام من مختصرة «كالتجريد» أو مطوَّلة «كالأسفار» وغيرها مما يتجاوز الألوف من المؤلفات، وأكثرها مطبوع ومنتشر، وكلها تشتمل على إقامة البراهين على بطلان التناسخ والاتحاد والحلول والتجسيم، ولو راجع المنصف الذي يريد الحقيقة ويتعالى عن العصبية، لعرف قول هؤلاء الذين ترعرعوا على قذف الشيعة وظلمهم الفاحش وخطأهم الواضح لتبين أنها مجرد أقاويل أخذوها من الفرق البائدة والمذاهب الملحدة والتي لا وجود لها اليوم.

ولكن الذي يريد أن يعرف الشيعة وهم الطائفة المعروفة التي تعد بالملايين من المسلمين عليه أن يثبت ذلك من مصنَّفات أحد علمائهم من حاضر أو غابر.

على كل حال فإن جميع ما ذكره صاحب فجر الإسلام عن الشيعة هو تهويل وادعاء بغير دليل.

ونحن لا نريد أن ندلّ على جميع أخطائه وخطيئاته، ولكن لنبيّن ونشهد على هذا العصر وكتبته ممن يسموّن علماء، فما ظنك بالسواد والعوام من الناس؟

ومنبع البليَّة أن القوم الذين يكتبون عن الشيعة يأخذون أحوال الشيعة و مذهبهم عن ابن خلدون البربري الذي يكتب وهو في إفريقيا واقصى المغرب عن شيعة العراق وأقصى المشرق، وعن أحمد بن عبد ربه الأندلسي وهو من قرطبة ويشتغل بالأدب وقد جعل رابع الخلفاء معاوية ولم يذكر عليّاً بينهم. فهؤلاء كتبة العصر إذا ارادوا أن يتعرفوا على الشيعة رجعوا إلى كتب الغربيين، كالمستشرق الألماني (يوليوس ولهوسن) وهو قد كتب عن الأمويين وعن دين العرب في الجاهلية ومن مستشرق آخر فرنسي بروتستانتي له معجم بالعربية والفرنسية وأمثالهما.

أما الرجوع إلى كتب الشيعة وعلمائهم فذاك لم يخطر على بال أحدهم، ولكن الشيعي هو على بيّنة من أمرهِ وحقيقة مذهبهِ، وإذا قرأ ما يكتبه هؤلاء الكتاب صار يتندر بما يقولون ويعتبرها كالنوادر التي كتبها الأصبهاني في كتابهِ المعروف «المحاضرات»، ويقول في إحدى النوادر: سُئل رجل كان يشهد على آخر بالكفر عند جعفر بن سليمان وهو عالم شيعي فقال:

«إنه خارجي معتزلي ناصبي رافضي يشتم علي بن الخطاب وعمر بن أبي قحافة وعثمان بن أبي طالب، فقال له جعفر بن سليمان: قاتلك الله ما أدري على أي شيء أحسدك، أعلى علمك بالأنساب أم بالأديان؟!..

أما «عبد الله بن سبأ» الذي يلصقونه بالشيعة، فهذه كتب الشيعة بأجمعها تتبرأ منه، وهو خرافة وضعها البعض في العصر الاموي والهدف معروف هو الطعن بالشيعة ومن كتَبَةِ العصر في مصر وغيرها.

من أجل ذلك رأينا من الواجب أن نكتب بشكل موجز عن معتقدات الشيعة وأصولها وفروعها التي عليها إجماع علمائها، أما ما عداه فهو رأي أفراد لا يصح أن يُعد مذهباً لها.

ومن المعلوم أن باب الاجتهاد لم يزل مفتوحاً عند الشيعة ولكل رأيه ما لم

يخالف الإجماع أو نص الكتاب والسنة والعقل، فإن خالف شيئاً من ذلك كان زائغاً عن الطريق وعن الأصول المقرّرة، والغرض من ذلك هو تعريف المسلمين بأن الشيعة طائفة مسلمة، وحتى لا يتورط كُتّابهم وعلماءهم بظلم أنفسهم وظلم غيرهم، فلا يكتبون الأضاليل والأباطيل عن إخوانهم في الدين ولا يظهروهم وكأنهم شياطين، بل هم والحمد لله ممن تأدب بآداب الإسلام وتمسَّك بتعاليم القرآن ومكارم الأخلاق ويعتمدون على الكتاب والسّنة وضرورة العقل فعسى أن يعلم الجاهل ويرتدع المتعصِّب عن علوائه ويتقرب من إخوانه لعل الله يجمع شملهم ويجعلهم يداً واحدة على أعدائهم.

لا بدَّ أولاً من بيان مبدأ التشيع واسباب نشوئه ثم بيان أصوله ومعتقداته.

منشأ التشيُّع

إن أول من وضع بذرة التشيع هو رسول الله ﷺ صاحب الشريعة الإسلامية نفسه، وهو الذي غرسها وتعهدها بالسقي والعناية حتى نمت وازدهرت في حياته، ثم أثمرت بعد وفاته، والشاهد على ذلك، هو أحاديثه الشريفة لا من طرق الشيعة ورواتها، بل من أ حاديث السنة وأعلامهم.

يروي «السيوطي»[1] في تفسير قوله تعالى: ﴿أولئك خير البريةْ﴾ أخرج ابن عساكر[2]، عن جابر بن عبد الله أنه قال: كنا عند النبي فأقبل عليّ فقال النبي ﷺ: «والذي نفسي بيده إن هذا وشيعته هم الفائزون يوم القيامة».

وعن ابن عباس أنه قال: لمَّا نزلت هذه الآية، قال رسول الله لعلي: «هم أنت وشيعتك يوم القيامة راضين مرضيين».

وأخرج بن مردويه الأصبهاني عن عليّ قال: «قال لي رسول الله ألم تسمع قول الله: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أُوْلَٰٓئِكَ هُمۡ خَيۡرُ ٱلۡبَرِيَّةِ﴾ «هم أنت وشيعتك موعدي وموعدكم الحوض إذا جاءت الأمم للحساب تُدعون غُرَّاً محجلين».[3]

ولو أراد المتتبّع كتب الحديث عند أهل السُّنة مثل: مسند أحمد بن حنبل، وخصائص النسائي، وأمثالهما لجمّعَ العدد الكبير منها، وإذا كان نفس صاحب

---

(1) الدر المنثور.

(2) مؤرخ ومحدّث ورحّالة.

(3) الدر المنثور.

الشريعة النبيّ يكرّر بأن عليّ وبنوه وشيعته هم الآمنون يوم القيامة وهم الفائزون، فلا شك أن كل معتقد بنبوّة محمد ﷺ وبصدقه وهو الذي لا ينطق عن الهوى: ﴿إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ﴾ [النجم: 4].

وكان العدد الكبير من الصحابة قد اختصوا بملازمة عليّ ومشايعته في حياة النبي وجعلوه إماماً يبلِّغ عن الرسول، ويشرح ويفسِّر تعاليمه وأسرار حكمهِ وأحكامهِ، وكانوا يُعرفون بشيعة عليّ، وأن هذا الاسم «الشيعة» هو لعليّ وولده وأتباعه ومن يواليهم، وهذا المعنى موجود في «النهاية» و"لسان العرب» وغيرهم.

ثم إن النبيﷺ ظلَّ بتعهد تلك البذور ويسقيها بالماء العذب من كلماته وإشاراته وأقواله، أحاديث مشهورة عند أئمة الحديث من علماء السنة فضلاً عن الشيعة وأكثرها مرويّ في الصحيحين مثل قوله:

«لا يحبك إلا مؤمن ولا يبغضك إلا منافق».

ومثل:

ـ «لأعطين الراية غدا رجلاً يحب الله ورسوله ويحبه الله ورسوله».

ومثل:

ـ «إني تارك فيكم الثقلين كتاب الله وعترتي أهل بيتي».

ـ «وعلي مع الحق والحق مع علي يدور معه كيفما دار».

والكثير من أقوال الرسول التي كُتبت عنها موسوعات في كتب الإمامية، ومنها:

«عبقات الأنوار» يزيد عن عشر مجلدات فيها أسانيد معتبرة عند أهل السنّة وقد ألَّفه «حامد حسين اللكناهوري» وهو واحد من الألوف الذين سبقوه والذين لحقوا به. ولكن لما توفي الرسول تغيَّر كل شيء، ورأى جماعة من الصحابة أن لا تكون الخلافة لعليّ إما بحجة صغر سِنِّهِ أو لأن قريش كرهت أن تجتمع النبوّة والخلافة لبني هاشم وقد زعموا أن النبوّة والخلافة لهم يضعونها حيث يشاؤون،

أو لأسباب أخرى لسنا في صدد البحث عنها، ولكن باتفاق الفريقين فإن عليّ عليه السلام إمتنع[1] عن البيعة مدَّة ستة أشهر وتبعه بعد ذلك الصحابة من الموالين له كالزبير وعمّار والمقداد وغيرهم.

ثم عاد عليّ وبايع لأنه رأى أن تخلَّفه يوجب فتقاً في الإسلام لا يُرتق وكسراً لا يُجبر، والجميع يعلم بأن عليّاً لم يكن يطلب الخلافة رغبةً في الإمرة والملك، وإنما يريد تقوية الإسلام وتوسيع نطاقه وغقامة الحق وإماتة الباطل، فبايع وسَالَم واغضى عما يراه حقاً له، محافظة على وحدة المسلمين وحتى لا يعود الناس إلى جاهليتهم الأولين وبقوا شيعته منضوين تحت جناحهِ، وبقيت الأمور كذلك حتى قُتل في «صفين» وانضم بقية الصحابة إلى عليّ حتى قُتل أكثرهم تحت رايته وكان معه ثمانون صحابياً من عظماء الصحابة الذين شاركوا في معركة بدر كعمار بن ياسر وخزيمة ذي الشهادتين وأبي أيوب الأنصاري وغيرهم.

ولما قتل عليّ عليه السلام واستتبَّ الأمر لمعاوية وانقضى دور الخلفاء الراشدين، سار معاوية بسيرة الجبابرة واستبدَّ واستأثر وفعل الكثير من المفاسد وتغلَّب على الأمة قهراً وغيَّر في شريعة الإسلام ما لا مجال لتعداده.

بدأ معاوية يعيّن الأمراء على البلاد ممن وصفوا بالغدر والخيانة، فعيَّن عمرو بن العاص وهو من دهاة العرب وكان من أشد أعداء الإسلام قبل أن يعلن إسلامه في هدنة الحديبية، ولما كانت الفتنة بين عليّ ومعاوية، انحاز إلى معاوية بشرط أن يوليه مصر وإعطائه خراجها ست سنوات فجمع أموالاً طائلة، ثم ألحق معاوية زياد من أبيه إلى نسبهِ وولّاه البصرة والكوفة وسائر العراق طمعاً في مبايعته له، وعاش كالملوك والجبابرة في ترف وبذخ، ثم دسَّ السُّم للإمام الحسن وقتله، بعد أن نقض العهود مع الله ومع الامة ومع الإمام الحسن على أن تكون الخلافة بعده للإمام الحسن، ثم أخذ البيعة ليزيد قهراً، فكرهه المسلمون وعرفوا

---

(1) صحيح البخاري في باب غزوة خيبر.

أنه رجل دنيا ولا علاقة له بالدين، وقد ذكر في «الزمخشري» أن معاوية قال: «أما أبا بكر فقد سلِم من الدنيا وسلِمت منه، وأما عمر فقد عالجها وعالجته، وأما عثمان فقد نال منها ونالت منه، وأما أنا فقد ضاجعتها ظهراً لبطن وانقطعت إليها وانقطعت إليّ».

التشيع في العهد الأموي والعباسي

منذ أن استولى معاوية على الخلافة وابنه يزيد، إنفصلت السلطة المدنية عن الدينية بعد أن كانت مجتمعة في عهد الخلفاء الأربعة، وأصبح للدين مراجِعه وأهله. ومَن أحقّ ممن تتوفر فيه شروط الإمامة من العلم والزهد والشجاعة وشرف الحسب والنسب، غير عليّ وأبناءه، وانضم إليهم الصحابة الذين كانوا يروون الأحاديث عن النبي في حق آل البيت، وما زال هذا التشيُّع لعلي واولاده ينمو ويسري في معظم افراد الأمة الإسلامية سريان الدواء في جسم المريض خفياً وظاهراً، ثم تلا ذلك شهادة الحسين وما جرى عليه يوم الطَّف مما ترك في القلوب الجراح الدامية وهو ابن رسول الله وريحانته، وقد شاهد الصحابة محبة رسول الله لسبطهِ الحسين وأخيهِ وكيف كان يحملهما ويقول: «نعم المطيَّة مطيتكما ونعم الراكبان أنتما، وأنهما سيدا شباب أهل الجنة، والكثير من الأحاديث أمثال ذلك.

وظلَّ الكثير من الصحابة يبثون تلك الأحاديث وينشرون تلك الفضائل في الأمة، وبنو أمية يلاحقونهم ويقتلونهم وكان ذلك مما يزيد التشيُّع قوة وانتشاراً ويجعل لعلي وأولاده المكانة العظمى في النفوس وقد ازدادت محبتهم بسبب الظلم والحيف الذي لحق بهم.

وكان بني أمية قد ظلموا واستبدّوا وتقاتلوا على الملك، وكان ذلك خدمة لأهل البيت وتعميقاً لمحبتهم، وكلما كان بني أميّة يتشددوا على شيعة عليّ ومن يواليه، كلما كان ردّ الفعل هو الموالاة أكثر لعليّ، حتى صاروا يسبّوه على المنابر ويجهدون في إخفاء فضائل أهل البيت وإخفاء أمرهم كما قال «الشعبي» في «الزمخشري» كان يقول: إن أحببنا عليّ قُتلنا وإن أبغضناه هلكنا.

وبعد أن انتهت الدولة السفيانية وخلفتها الدولة المروانية وعلى رأسها عبد الملك بن مروان وما أدراك ما عبد الملك وقد أمر الحجَّاج واليهِ على العراق أن يتخلص من عبد الله بن الزبير فزحف بجيش كبير إلى مكّة ونصَبَ المجانيق على الكعبة وهدمها وأحرقها ثم قتل أهلها، وذبح عبد الله بن الزبير في المسجد الحرام بين الكعبةِ والمقام، وانتهك حرمة الحرم الذي كان أهل الجاهلية يعظمونه ولا يستبيحون دماء الوحش فيه فضلاً عن دماء البشر، وكان عبد الملك قد أعطى عهداً وميثاقاً لابن عمهِ عمرو الذي يلقب بالأشدق لفصاحته ثم قتله غدراً وغيلةً.

فهل هذه الأعمال تجوز عن المسلم وخاصة إذا كان خليفةً! المسلمين وأمير المؤمنين؟

وقد سارت الدولة الأموية كلها هذه السيرة ما عدا العبد الصالح «عمر بن عبد العزيز»، ثم خلفتها الدولة العباسية وكانت أشد استبداداً من الذين سبقوها، حتى قال أحد شعراء أهل البيت:

يا ليت جور بني مروان دام لنا ويا ليت عدل بني العباس في النار

لقد تتبَّع ا لعباسيون ذريَّة علي وأتباهم ومن والاهم، وكانوا قد استولوا على الحكم بحجة أنهم بنو عمهم فقتلوهم تحت كل حجرٍ ومدر وخرَّبوا ديارهم وهدموا آثارهم، وفي المقابل كانت سيرة عليّ وشيعته تزداد رسوخاً وانتشاراً، فتعرف بذلك أنها نزعة إسلامية محمدية لا يمكن القضاء عليها أو طمسها، وبأن من قال أنها نزعة فارسية أو سبأية فهو مهووس لا يعرف شيء من التاريخ ولا من الواقع والحقيقة شيئاً.

ولننظر إلى تلك العصور إلى بني عليّ ماذا كان شأنهم، أنظر إلى زين العابدين الذي انقطع عن الدنيا وأهلها بعد استشهاد أبيه الحسين، ثم تربَّى على يديه جماعة من التابعين كالحسن البصري، وطاووس اليماني، وابن سيرينن وعمر بن عبيد وغيرهم من الزهاد والعرفاء، وبعد أن أوشك الناس أن يعودوا إلى الجاهلية وإلى نكران أي حق، حتى ذِكرُ الله كاد أن يزول، ثم خلَفَهُ ابنه محمد الباقر، وحفيده جعفر الصادق عليه السلام وعادوا وشيدوا ذلك البناء.

مكانة الصادق:

في الفترة الواقعة بين دولتي بني أمية وبني العباس اتّسع المجال للصادق عليه السلام وقد ارتفع كابوس الظلم قليلاً، واستطاع أن يتوسَّع في بثّ الأحكام الإلهية ونشر الأحاديث النبوية الصحيحة التي سمعها من أبيه عن جده أمير المؤمنين عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وقد انتشر التشيُّع في ذلك الوقت بكثرة لم يسبق له مثيل، وكثر الموالين لآل البيت وحفاظ الحديث حتى أن أبا الحسن الوشاء، وهو من أصحاب الإمام الرضا قال لبعض أهل الكوفة: أدركت في مسجد الكوفة أربعة آلاف شيخ من أهل الورع والدين، كل يقول: حدَّثني جعفر بن محمد.

ولن نطيل بذكر الشواهد، والجميع يعرف أن بني العباس وبني أمية كان همهم الوحيد هو نعيم الدنيا، وتقوية سلطانهم.

وكانوا يجاهرون باللهو والطرب وحب الملذات والشهوات ومحاربة وملاحقة من يهدد سلطانهم.

أما بني عليّ ومواليهم كانوا منقطعين للعلم والعبادة والورع والتجافي عن الدنيا وشهواتها، وكانوا لا يتدخلون في السياسة، لأنهم لا يعرفون الكذب والمكر، كل ذلك أوجب انتشار التشيع وإقبال الجمع الغفير من الناس عليه.

ومن الواضح أن الناس وإن كان حب الدنيا والطمع وحب المال قد تمكَّن في قلوبهم، ولكن مع ذلك فإن للعلم والدين في نفوسهم المنزلة السامية، لا سيّما وعهد النبوَّة قريب والإسلام الصحيح لا يمنع طلب الدنيا من طرقها المشروعة، والإسلام هو الذي صبَّ عليهم البركات والخيرات وأذَّل لهم الأكاسرة والقياصرة ووضع في أيديهم مفاتيح الشرق والغرب، كل هذا جعلهم أشد رغبةً في الدين وأحكامه، ولو في السير فقط على مناهجه في النظام الاجتماعي وتدبير العائلة وطهارة الأنساب، وهم لم يجدوها عند أولئك المتخلفين والمسمى كل واحد منهم أمير المؤمنين وخليفة المسلمين.

لقد وجدوا ما يطلبوه عند أهل بيت الرسول لأنهم خلفاؤه حقاً وسدَنَة

شريعته ومبلِّغوا أحكامه، فدانوا لهم واعتقدوا بإمامتهم، وكانت هذه العقيدة الإيمانية والعاطفة الإلهية كشعلة نار في نفوس بعض الشيعة تدفعهم إلى ركوب الأخطار وتقديم أعناقهم أضاحي للحق وقرابين للدين.

ثم إذا نظرنا إلى فطاحل الشعراء في القرن الأول والثاني مع شدَّة أطماعهم عند ملوك زمانهم وخوفهم منهم، والسلطة شاهرة سيوفها فوق رؤوسهم، ومع ذلك جاهروا بالحق ونصروه. خذ مثلاً الفرزدق والكميت والسيد الحميري ودعبل الخزاعي وأبي تمام وأبا فراس الحمداني صاحب الشافية الذي يقول في مطلعها:

الدين مختـرم والحق مهتضم وفي آل رسول الله مقتسم

.... إلى آخر القصيدة.

ولكل واحد من هؤلاء النوابغ قصائد رائعة في مدح أئمة الحق والتشيُّع.

كان دعبل يقول الشعر ويهجو الرشيد والأمين والمأمون والمعتصم ويمدح الصادق والكاظم والرضا وأشعاره بذلك مشهورة.

هذا كله في أيام قوة بني أمية وبني العباس، فانظر ماذا يصنع الحق واليقين بنفوس المسلمين.

عقائد الشيعة

نحن سنورد أمهات القضايا والمسائل التي يجمع عليها الشيعة وقد يخالفهم فرد أو أفراد.

الدين ينحصر في قضايا خمس:

الأولى: معرفة الخالق.

الثانية: معرفة المبلِّغ عنه.

الثالثة: معرفة ما يجب التعبد والعمل به.

الرابعة: الأخذ بالفضيلة ورفض الرذيلة.

الخامسة: الاعتقاد بالمعاد والحساب، وبأن الدين هو علم وعمل، وان الدين عند الله الإسلام، والإسلام والإيمان مترادفان ويطلقان على معنى أعم يعتمد على ثلاثة أركان وهي:

التوحيد، والنبوة، والمعاد، فلو أنكر المرء واحداً منها فليس بمسلم ولا مؤمن، ومن آمن بالله ورسوله وباليوم الآخر فهو مسلم حقاً، له ما للمسلمين وعليه ما عليهم، دمه وماله وعرضه حرام، والركن الرابع هو العمل بالدعائم وهي:

الصلاة والصوم والزكاة والحج والجهاد.

والإيمان هو اعتقاد بالجنان وإقرار باللسان وعمل بالأركان:

﴿مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْأَخِرِ وَعَمِلَ صَٰلِحًا﴾

وكل مورد اقتصر على ذكر الإيمان بالله ورسوله واليوم الآخر يراد به الإسلام، وكل مورد أضيف إليه ذكر العمل الصالح يراد به الإيمان:

﴿قَالَتِ ٱلۡأَعۡرَابُ ءَامَنَّاۖ قُل لَّمۡ تُؤۡمِنُواْ وَلَٰكِن قُولُوٓاْ أَسۡلَمۡنَا وَلَمَّا يَدۡخُلِ ٱلۡإِيمَٰنُ فِي قُلُوبِكُمۡۖ﴾ [الحجرات: 14].

الإيمان هو قول ويقين وعمل، فهذه هي الأركان الأربعة هي أصول الإسلام والإيمان بالمعنى الأخص عند جمهور المسلمين.

ولكن الشيعة الإمامية زادوا ركناً خامساً هو الاعتقاد بالإمامة، وهي منصب إلهي كالنبوَّة، فكما أن الله يختار من يشاء من عباده للنبوة والرسالة، فكذلك يختار للإمامة من يشاء ويأمر نبيه بالنص عليه: ﴿وَرَبُّكَ يَخۡلُقُ مَا يَشَآءُ وَيَخۡتَارُۗ مَا كَانَ لَهُمُ ٱلۡخِيَرَةُۚ﴾.

والإمام يقوم من بعد النبي بالوظائف التي كان على النبي أن يقوم بها، ولكن الإمام لا يوحي إليه كالنبي، وإنما يتلقى الأحكام منه مع تسديد إلهي، فالنبي مبلِّغ عن الله والإمام مبلِّغ عن النبيّ، والإمامة متسلسلة في إثني عشر وكل سابق ينص على اللاحق ويُشترط أن يكون معصوماً كالنبيّ عن الخطأ والخطيئة وإلا لزالت الثقة به، وتقول الآية الكريمة: ﴿إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامٗاۖ قَالَ وَمِن ذُرِّيَّتِيۖ قَالَ لَا يَنَالُ عَهۡدِي ٱلظَّٰلِمِينَ﴾.

وأن يكون الإمام أفضل أهل زمانه وأعلمهم، والإمام له من الكمالات ما دون النبي وفوق البشر.

إن عدم الاعتقاد بالإمامة لا يُخرج المسلم عن إسلامه وتترتب عليه جميع أحكام الإسلام من حرمة دمهِ ومالهِ وعرضهِ ووجوب حفظهِ وحرمة غيبته وغير ذلك.

وأما الذي يؤمن بالإمامة ويعمل بها، فله منزلة قربٍ وكرامة يوم القيامة وأمر ذلك وعلمه إلى الله سبحانه.

وما يميز الشيعة عن سائر المسلمين هو قولهم بإمامة الأئمة الإثني عشر وبه

سميت «الإمامية» وليس كل الشيعة تقول بذلك فهناك الزيدية والإسماعيلية والوقفية والفطحية وغيرهم وهؤلاء يشملهم الإسلام، ولكن هناك بعض الفرق من الملاحدة والخطابية لا علاقة لهم بالشيعة الإمامية التي تمثل أكبر طائفة في المسلمين بعد طائفة السنة.

والقول بالاثني عشر ليس بغريب عن أصول الإسلام وصحاح كتب المسلمين، فقد روى البخاري وغيره في صحيحه حديث الاثني عشر خليفة بطرق متعددة، منها بسندٍ عن النبيّ أنه قال: «إن هذا الأمر لا ينقضي حتى يمضي فيهم إثنا عشر خليفة كلهم من قريش».

وروى ايضاً أنه قال: «لا يزال أمر الناس ماضياً ما وليهم إثنا عشر رجلاً».

ولسنا بصدد إقامة الدليل والحجَّة على إمامة الإثني عشر، فهناك مؤلفات بالألوف تبحث هذه القضية.

في وظائف العقل

التوحيد:

في مذهب الإمامية يجب على العاقل الحكيم تحصيل العلم والمعرفة بخالقه وصانعه والاعتقاد بوحدانيته في الألوهية وعدم اتخاذ شريك له، والاعتقاد بأن لا مؤثر في الوجود غير الله، وان يُخلِصَ بعبادته وطاعتهِ، وطاعة الأنبياء والأئمة فيما يبلِّغون عن طاعة الله، ولكن لا يجوز عبادتهم وإنما التبرُّك بهم والتوسل إلى الله بكرامتهم ومنزلتهم عنده، والصلاة لله عند مراقدهم ﴿فِي بُيُوتٍ أَذِنَ ٱللَّهُ أَن تُرْفَعَ وَيُذْكَرَ فِيهَا ٱسْمُهُۥ﴾ وللتوحيد مراتب ودرجات.

النبوَّة:

يعتقد الشيعة الإمامية أن جميع الأنبياء الذين نصّ عليهم القرآن الكريم، هم رسل الله وعباد مكرمون بعثوا لدعوة الخلق إلى الحق، وان محمداً خاتم الأنبياء وسيد الرسل وأنه معصوم من الخطأ والخطيئة وأنه لم يرتكب المعصية مدَّة عمره وكل ما فعله هو في رضا الله سبحانه حتى قبضه الله إليه، وأن الله تعالى أسرى به من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى ثم عرج إلى السماء حتى صار من ربه قاب قوسين أو أدنى. وأن القرآن الموجود في أيدي المسلمين هو الكتاب الذي أنزل الله إليه للإعجاز والتحدي بأنه لا يمكن لأي أحد من العالمين أن يأتِ بسورة من مثلهِ، وأن هذا القرآن تنزَّل لتعليم الأحكام وتمييز الحلال من الحرام وأنه لا نقص فيه ولا تحريف ولا زيادة وأن الله عز وجل يقول: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا ٱلذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ﴾ وأن كل من ادعى النبوَّة أو نزول وحيٍ فهو كافر.

الإمامة

يعتقد الشيعة بأن الإمامة منصب إلهي يختاره الله بسابق علمه كما يختار النبي، وبأن الله سبحانه أمر النبي بأن ينصَّ على عليّ وينصبه خليفةً للناس من بعده والنبي كان يعلم أن ذلك سوف يثقل على البعض وقد يتهمونه بالمحبة لصهره وابن عمه، والمعلوم أن الناس في ذلك اليوم ليسوا على مستوى واحد من الإيمان واليقين، ولكن الله سبحانه أوحى إليه وقال: ﴿يا أيها الرسول بلغ ما أنزل إليك من ربك وإن لم تفعل فما بلغت رسالته﴾ فامتثل النبي لهذا الإنذار الشديد، وخطب الناس عند انصرافه من حِجَّة الوداع في «غدير خم» فنادى بالمسلمين وقال لهم: ألستُ أولى بالمؤمنين من أنفسهم؟ فقالوا: «اللهم نعم!، فقال وقد رفع يد عليّ: «من كنت مولاه فهذا عليّ مولاه، اللهم وال من والاه وعادِ من عاداه وانصر من نصره واخذل من خذله...» وهذا الحديث متواتر عن السّنة والشيعة، ثم أكّد النبي في مواطن عدّة تلويحاً وتصريحاً، إشارة ونصّاً وبلَّغ ما أُمر به، ولكن كبار بعض المسلمين تأولوا تلك النصوص فقدَّموا وأخَّروا وتولوا الخلافة وامتنع عليّ مع جماعة من الصحابة عن البيعة مدَّة ستة أشهر بعد ذلك رأى عليّ أن امتناعه عن المسالمة فيه ضرر كبير على الإسلام، بل ربما ينهار من أساسه وهو بعد في أول نشوئه، وعليّ مستعد أن يضحي بنفسه وبكل ما لديه وصار يبذل كل جهده من أجل قوّة الإسلام وإعزازه وبسط رايته فبايع وبقي على منصبه الإلهي من الإمامة وإن سلَّم لغيره بالتصرف والرئاسة.

وعندما انتهى الأمر إلى معاوية ورأى أن مسالمة معاوية وإبقاءه والياً هو ضرر كبير على الإسلام فلم يجد بدّاً من محاربته، والإمامية يقولون: نحن شيعة عليّ نسالم من سالمه ونحارب من يحاربه ونعادي من عاداه ونوالي من والاه

وذلك طاعةً للنبي الذي قال: «اللهم والي من والاه وعادِ من عاداه، وحبنا وموالتنا لعليّ هي موالاةً لرسول الله وطاعةً له».

يعتقد الإمامية بأن الله سبحانه لا يمكن أن يخلي الأرض من حجّة على العباد، من نبيّ أو وصيّ ظاهر مشهور أو غائب مستور.

وقد قال الله تعالى: ﴿إِنِّي جَاعِلٌ فِي ٱلْأَرْضِ خَلِيفَةً﴾ [البقرة: 30].

وقال الرسول ﷺ: «من مات ولم يعرف إمام زمانه فقد مات ميتة جاهلية».

وقال الإمام عليّ عليه السلام: «لا تخلو الأرض من قائم بحجَّة الله إما ظاهراً مشهوراً وإما خائفاً مغمورا».

وقد نصَّ النبي وأوصى إلى عليّ ومن بعده إلى ولده الحسن وإلى أخاه الحسين، وهكذا... إلى الإمام الثاني عشر وهو المهدي المنتظر.

وهذه سنَّة الأنبياء من آدم إلى خاتمهم، وقد ألّف جمع غفير من أعاظم علماء الدين مؤلفات عديدة في إثبات الوصيَّه. وهذه بعض أسمائهم: كتاب «الوصية» لهشام بن الحكم المشهور، ولإبراهيم بن محمد بن سعيد بن هلال، للمؤرخ الجليل عبد العزيز بن يحيى الجلودي وغيرهم الكثير وهم من أهل القرن الأول والثاني.

أما من أهل القرن الثالث فهم جماعة كثيرة منهم: «الوصية» لمحمد بن أحمد الصابوني الأندلسي وهو شاعر من إشبيلية في الأندلس، كتاب «الوصية والإمامة» للمؤرخ الجليل المسعودي صاحب مروج الذهب، «الوصيه» لشيخ الطائفة الطوسي وأما ما ألِّف في القرن الرابع لا يستطاع حصره.

وقد ذكر المسعودي في كتابه المعروف بـ «إثبات الوصية» أن لكل نبيّ إثني عشر وصياً ذكرهم بأسمائهم، وقد بسط الكلام في الأئمة الإثني عشر وطُبع هذا الكتاب في إيران هذا بعض ما ألّفه العلماء في الإمامة وإقامة الأدلّة العقلية والنقلية عليها.

أما قضية المهدي، فإن علوّ نبرات الإستنكار من بعض الفرق الإسلامية

ومن غيرهم على الإمامية واعتقادهم بوجود إمام غائب عن الأبصار ليس له أثر، زاعمين أنه من غير المعقول هذا الأمر لسببين:

الأول: استبعاد بقائه طوال المدة التي تتجاوز الألف سنة ويتناسون أن نوح عمَّر ولبث بقومه بنص الكتاب ألف سنة إلا خمسين عاماً، وأن الكثير من العلماء يعتقدون أن الخضر هو حي لا يزال موجود بين أظهرنا، وذلك ما تتفق عليه الصوفية وأهل الصلاح والمعرفة، وقد قال الصدوق في فتاويه: أنه حيٌّ عند جمهور العلماء والصالحين والعامّة معهم، وقال الزمخشري في «ربيع الأبرار» أن المسلمين متفقين على حياة أربعة من الأنبياء: إثنان في السماء هما إدريس وعيسى وإثنان في الأرض هما إلياس والخضر، وهل الخارق للعادة والشاذ عن نواميس الطبيعة في شؤون الأنبياء والأوصياء هو شيء عجيب ونادر؟!

وهناك المقالات الكثيرة والبراهين الجلية لأكابر فلاسفة الغرب في إثبات إمكانية الخلود في الدنيا للإنسان.

ولكن ما هي المصلحة في غيبته، وهل يريد هؤلاء المشككون أن يصلوا إلى الحِكَم الإلهية والربانية وأسرار التكوين والتشريع؟ مع أن الكثير من الأحكام ما زالت مجهولة الحكمة حتى اليوم، كتقبيل الحجر الأسود مع أنه حجر لا يضر ولا ينفع وما هي الحكمة في ان تكون صلاة المغرب ثلاثا والعشاء أربعاً والصبح اثنتين، والكثير من أمثال ذلك، وأن الله قد استأثر بعلمه جملة أشياء لم يُطلع عليها ملكاً مقرَّباً ولا نبيّاً مرسلاً، كعلم الساعة ومتى تقوم القيامة؟ ولكن إذا صحَّ أن النبي أخبر بذلك ثم أوصياؤه المعصومون فلا بد من التسليم والإذعان، وإن الأخبار في المهدي عن النبي من الفريقين مستفيضة، وإن البراهين تؤكد على وجوب وجود الإمام في كل عصر وأن الأرض لا تخلو من حجَّة، والأدلَّة متوفرة، وأما الحكمة فهي ملك لله تعالى.

العدل:

العدل هو الاعتقاد بأن الله لا يظلم أحداً ولا يفعل ما يستقبحه العقل السليم، لأن الله جامع لصفات الجمال والكمال. ولكن الأشاعرة وهم فرقة أسّسها أبو الحسن عليّ! بن إسماعيل الأشعري وهو من علماء القرن الرابع وكان

معتزلياً ثم انشقَّ عنهم، ويقول الأشعرية ليس الحُسن إلا ما حسَّنه الشرع وليس القبح إلا ما قبَّحه الشرع، وأن الله تعالى لو خلَّد المطيع في جهنم والعاصي في الجنَّة لم يكن هذا العمل قبيحاً لأن الله يتصرف في ملكه ويقول: ﴿لَا يُسْـَٔلُ عَمَّا يَفْعَلُ وَهُمْ يُسْـَٔلُونَ﴾ [الأنبياء: 23].

أما الإمامية والمعتزلة فأنكروا هذا الاعتقاد وقالوا أن الشرع يتوافق مع العقل وليس الحسن إلا ما حسَّنه العقل السليم والشرع، وليس القبح إلا ما قبَّحه العقل السليم والشرع، وأن العبد هو الفاعل للخير والشر، والشرع يساعد العقل ويرشده، فالعقل السليم يقبِّح فعل الظالم لأن الله لا يمكن أن يقبل بالظلم لكونه عادلاً وغايته العدل، ولا يمكن أن يعذب المطيع ولا يقع الظلم منه سبحانه وتعالى.

وهذه المسألة أخذت دوراً مهماً في الخلاف بين الجبر والاختيار وقد قال الأشاعرة بالجبر وقال المعتزلة والإمامية أن الإنسان حر مختار، والله لم يجبر على فعل أو ترك، ولذلك يُعاقب العبد ويُلام على فعل الشر، ويُثاب على فعل الخير، وإلا لبطُل الثواب والعقاب، ولم تكن هناك فائدة في بعثة الأنبياء وإنزال الكتب السماوية، والوعد والوعيد، إن الإمامية يعتقدون بأن الله عادل وأن الإنسان حر مختار بين الخير والشر وعقابه وثوابه على الله يوم القيامة.

المعاد:

يعتقد الإمامية كما يعتقد سائر المسلمون أن الله تعالى يعيد الخلائق ويحييهم بعد موتهم يوم القيامة للحساب والجزاء، والعودة للشخص بعينه وبجسده وروحه، بحيث لو رآه الرائي لقال هذا فلان، ولا نعرف كيف تكون الإعادة من العدم أو ظهور الموجود أو غير ذلك، ويؤمنون بجميع ما في القرآن والسنَّة القطعية، وبالجنة والنار، ونعيم البرزخ وعذابه، والميزان والصراط والأعراف والكتاب الذي لا يغادر صغيرة ولا كبيرة إلا وأحصاها، وأن الناس يُجازون على أعمالهم إن خيراً أو شراً ﴿فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُۥ ۝٧ وَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُۥ﴾ [الزلزلة: 7 ـ 8] ويؤمنون بكل ما نزل به الوحي المبين وأُخبر عنه الصادق الأمين.

في العبادات

يعتقد الإمامية إن الشريعة الإسلامية لم تترك واقعة كبيرة أو صغيرة إلا ولله حكم فيها ومجمل هذه الأحكام خمسة:

الوجوب، والحرمة، والمستحب، والمكره، والمباح.

وما من معاملة على مالٍ أو عقد زواج أو نحوهما إلا وللشرع فيه حُكم صحةٍ أو فساد.

وقد أودع الله سبحانه جميع تلك الأحكام عند نبيّه خاتم الأنبياء وعرفها النبيّ من الله أو بالإلهام.

ثم إن النبيّ ﷺ بيَّنها بحسب وقوع الحوادث والإبتلاءات تدريجياً للناس، ولا سيَّما أصحابه المحيطين به والمرافقين له باستمرار ليكونوا مبلّغين عنه: ﴿لِيَكُونَ ٱلرَّسُولُ شَهِيدًا عَلَيۡكُمۡ وَتَكُونُواْ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِۚ﴾ [الحج: 78].

وبقيت أحكام كثيرة لم تحصل الدواعي والبواعث لبيانها في عصر النبوَّة ولعدم المصلحة في نشرها، ولكن النبيّ ﷺ أودع هذه الأحكام عند أوصيائه، كل وصيّ يعهد بها إلى الآخر، لينشرها في الوقت المناسب لها، حسب الحكمة، من حكم عام، أو مخصّص، أو مطلق مقيد، أو مجمل مبيَّن وأمثال ذلك.

فقد يذكر النبيّ حكماً عاماً ويذكر مخصصَّه بعد برهة من حياته وقد لا يذكره، بل يودعه عند وصيّه، ثم إن الأحاديث التي نشرها في حياته قد يختلف الصحابة في فهم معانيها حسب اختلاف مراتب أفهامهم، فقد يسمع الصحابيّ حكماً من النبيّ في واقعة معينة، ويسمع حكماً آخر مختلف في مثلها، لأن هناك

خصوصية في أحدهما اقتضت تغاير الحكمين، فيحصل التعارض في الأحاديث ظاهراً ولكنها لا تختلف واقعاً.

من أجل هذه الأسباب وأمثالها احتاج نفس الصحابة إلى الاجتهاد والنظر في الحديث والبحث عن الهدف والغاية والقرينة، كان يجري ذلك في زمن النبي وبمرأى ومسمع منه، مما يدل على أن باب الاجتهاد كان مفتوحاً في زمن النبيّ وفي سائر الأزمنة.

ولكن كلما بعُد من زمن الرسالة وكثرت الآراء، تكاثرت الأحاديث والروايات، ودخل فيها الدسّ والوضع وتوفرت الظروف والدواعي للكذب على النبيّ، فصار الاجتهاد ومعرفة الحكم الشرعي يصعب ويحتاج إلى تمييز الصحيح من السقيم، وباب الاجتهاد ما زال مفتوحاً عند الإمامية، بل هو اليوم أكثر ضرورة، والناس لا يزالوان بين عالم وجاهل في الأحكام الشرعية، ولذلك على الجاهل أن يرجع إلى العالم المجتهد ليقلده في أحكام الشرع.

والمسلمون متفقون على أن الأدلة الشرعية، منحصرة في الكتاب والسُّنة ثم العقل والاجماع، ولكن يفترق الإمامية عن غيرهم في عدة أمور، هي:

ـ أن الإمامية لا يعملون بالقياس، وقد تواتر عن أئمتهم أن السُّنة إذا قيست مُحق الدين.

ـ وهم لا يعتبرون الأحاديث النبوية الموجودة في التراث الإسلامي، أن كلها صحيح، فالصحيح هو ما جاء من طرق أهل البيت عن جدِّهم، يعني ما رواه الصادق عن أبيه الباقر عن أبيه زين العابدين عن الحسين السبط عن أمير المؤمنين عن رسول الله سلام الله عليهم جميعاً، وأما ما يرويهِ أبو هريرة، وسمرة بن جندب ومروان بن الحكم، وعمران بن حطَّان الخارجيّ، وعمرو بن العاص، ونظائرهم، فليس لهؤلاء عند الإمامية أي اعتبار، وأمرهم أشهر من أن يُذكر، وقد صرَّح الكثير من علماء السُّنة بمطاعنهم وجرحهم.

الاجتهاد:

إن باب الاجتهاد لا يزال مفتوحاً عند الإمامية بخلاف جمهور السنة فإنهم قد سُدَّ هذا الباب عندهم وأُقفِلَ على ذوي العقول والألباب، وما أدري بأي دليل سدّوا باب الاجتهاد، وتلك الأسئلة هي في عهدة علماء السنة ووجوب إيضاحها عليهم.

ما ما عدا تلك الأمور، فالإمامية وسائر المسلمين فيها سواء لا يختلفون في الفروع إلا كما يختلف علماء الإمامية وعلماء السُّنة فيما بينهم من حيث الفهم والإستنباط.

ما هي الشروط التي يجب أن تتوفر للمجتهد عند الإمامية:

ـ المجتهده والفقيه الذي يبحث عن الأدلَّة وحصل على ملكة استنباط الحكم الشرعي، وزاول هذه المهمة الفقهية وصار عنده تجربة طويلة.

ـ ومن الشروط أن يملك ملكة العدالة وهي الكف عن المعاصي والمحرَّمات والقيام بالواجب، وعنده حالة من الخوف الدائم من الله تعالى وبأن الله يراقبه في جميع أحواله، وهي مراتب عالية من العصمة عن الذنوب والأخطاء، ويكون التقليد في الفروع، وأما أصول العقيدة كالتوحيد والنبوَّة والمعاد، فهي من ضروريات الاعتقاد فلا تقليد فيها.

والفقه يبحث أحكام العبادات وهي ستة:

اثنتان بدنية محضة وهما الصوم والصلاة، واثنتان مالية محضة وهما الزكاة والخمس، واثنتان مشتركة بين المال والبدن وهما: الحج والجهاد: ﴿وَجَٰهِدُواْ بِأَمۡوَٰلِكُمۡ وَأَنفُسِكُمۡ﴾ [التوبة: 41].

الصلاة:

الصلاة عند الإمامية وعند عامة المسلمين هي عمود الدين. فمن ترك الصلاة فقد انقطعت الصلة بينه وبين ربِّه.

الصوم:

الصوم ركن من أركان الشريعة الإسلامية وهو واجب ومستحب، فالواجب هو صوم شهر رمضان، والمستحب له أوقات معينة، والصوم في العيدين وأيام التشريق حرام، ومكروه لصوم عرفة وعاشوراء.

الزكاة:

الزكاة واجبة كما عند المسلمين جميعاً، وهي تتلو الصلاة في الأهمية، وقد ورد عن الأئمة المعصومين أن من لا زكاة له لا صلاة له.

زكاة الفطر:

فهي واجبة على كل إنسان بالغ عاقل وقدرها صاع من حنطة أو شعير أو تمر أو ما يعادلها من نقد.

الخمس:

الخمس واجبة على غنائم الحرب وأرباح المكاسب، والآية واضحة في القرآن: ﴿وَٱعْلَمُوٓاْ أَنَّمَا غَنِمْتُم مِّن شَيْءٍ فَأَنَّ لِلَّهِ خُمُسَهُۥ وَلِلرَّسُولِ وَلِذِى ٱلْقُرْبَىٰ﴾ [الأنفال: 41].

والخمس عندنا حق فرضه الله لآل محمد عوض الصدقة التي حرَّمها عليهم من زكاة الأموال والأبدان، وتقسم إلى قسمين:

قسم لله ورسوله ولذي القربى تدفع للإمام إن كان ظاهراً، أو إلى نائبه وهو المجتهد العادل الذي يدفعها لمساعدة الفقراء والمساكين، والقسم الآخر فهو لفقراء بني هاشم من السادة، لأن زكاة الصدقة محرَّمة عليهم.

لكن القوم بعد رسول الله ﷺ منعوا الخمس عن بني هاشم وأضافوه إلى بيت المال وبقي بنو هاشم لا خمس لهم ولا زكاة، وقد أشار الإمام الشافعي إلى هذه المسألة فقال: «فأما آل محمد الذين جعل لهم الخمس عوضاً عن الصدقة فلا يعطون من الصدقات المفروضات شيئاً قلَّ أو كثر».

ولا تجد بابا عند أهل السنة ومن فقهائهم يتحدث عن الخمس، بخلاف الشيعة فما من كتاب فقه صغير أو كبير إلا وللخمس فيه عنوان مستقل عن الزكاة، فالزكاة والخمس هما العبادة المالية المحضة.

الحج:

إن من أهم دعائم الإسلام عند الشيعة وأهم أركانه، ويتخير تاركه بين أن يموت يهودياً أو نصرانياً، وتقول الآية الكريمة: ﴿وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَنِيٌّ عَنِ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ ويعتبر الحج جهاد معنوي، والجهاد القتالي حج حقيقي. والشروط التي يجب أن تتوفر، هي البلوغ والعقل والحرية والاستطاعة بوجود الزاد والراحلة وصحة البدن وأمن الطريق، ويجب الحج مرّة واحدة في العمر، وتقول الآية الكريمة: ﴿وَلِلَّهِ عَلَى ٱلنَّاسِ حِجُّ ٱلْبَيْتِ﴾ [آل عمران: 97].

الجهاد:

الجهاد هو حجر الزاوية في بناء هيكل الإسلام وعموده الذي قام عليه، والجهاد هو مقاومة الظلم والفساد في الأرض بالنفوس والأموال والتضحية، والجهاد عندنا قسمين:

ـ **الجهاد الأكبر**، وهو جهاد النفس لأنها العدو الداخلي، ومكافحة الصفات الذميمة من الجهل والظلم والجور والكِبر والغرور والحسد والشحّ إلى آخرهذه الصفات.

(أعدى عدوك نفسك التي بين جنبيك).

ـ **والجهاد الأصغر**: وهو مقاومة العدو الخارجي، عدو الحق والدين، ولأن صعوبة معالجة النفس وانتزاع الصفات الذميمة المستحكمة منها سمّى النبي هذا النوع بالجهاد الأكبر.

الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر:

وهو أهم الواجبات شرعاً وعقلاً وهو أساس دين الإسلام، ومن أفضل العبادات والطاعات، وهو باب من أبواب الجهاد والدعوة إلى الحق والهدى ومقاومة الضلال والباطل، وما تركه قوم إلا وضربهم الله بالذل وجعلهم فريسةً لكل طامع ظالم، وقد ورد عن النبيّ والأئمة والمعصومين(عليهم السلام) أن الحثَّ عليه والتحذير من تركه، وبيان المفاسد والمضار من إهمال هذا الواجب، وما نراه اليوم من فساد أخلاقي هو أكبر دليل وبرهان.

أنواع المعاملات

المعاملات: هي ما يتوقف على طرفين موجب وقابل، فهي إما أن تكون مالية: كالبيع، والإجار، والرهن، والقرض، ونظائرها، والكل مشروح في كتب الفقه، ولا يحل لنا اكتساب المال إلا من طرقه المشروعة، ولا يحل الغصب والغش ولا الخديعة حتى للكافر فضلاً عن المسلم، وتجب الأمانة للمسلم والكافر.

عقود الزواج: وهي التي يقصد منها النسل ونظام العائلة وبقاء النوع، وهي قسمان:

1 ـ عقد الزواج الدائم والمطلق، والعقد المرسل: ﴿وَأَنكِحُواْ ٱلْأَيَـٰمَىٰ مِنكُمْ وَٱلصَّـٰلِحِينَ مِنْ عِبَادِكُمْ﴾ [النور: 32].

2 ـ العقد المنقطع وهو الزواج المقيَّد والنكاح المؤقت.

الأول اتفقت عليه عامة المسلمين، وأما الثاني ويُعرف بزواج المتعة المصرَّح به في الكتاب الكريم بقوله تعالى: ﴿فَمَا ٱسْتَمْتَعْتُم بِهِۦ مِنْهُنَّ فَـَٔاتُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ﴾ [النساء: 24].

والإمامية تُجوِّز الزواج المؤقت وتعتبر بقاء مشروعيته إلى الأبد، ولا يزال النزاع محتدماً بين الفريقين من زمن الصحابة حتى اليوم، وحيث أن المسألة لها مقام من الإهتمام فجدير أن نعطيها ولو بعض ما تستحق من البحث إنارةً للحقيقة وطلباً للصواب.

زواج المتعة:

إن من ضروريات مذهب الإسلام التي لا ينكرها من له أدنى إلمام بشرائع هذا الدين الحنيف، أن المتعة التي هي عقد للزواج إلى أجلٍ مسمّى، وقد شرَّعها رسول الله ﷺ وأباحها وعمل بها جماعة من الصحابة في حياته وبعد وفاته، وقد اتفق المفسرون أن جماعة من عظماء الصحابة كعبد الله بن عباسن وجابر بن عبد الله الأنصاري، وعمران بن حصين، وابن مسعود وغيرهم كانوا يفتون بإباحتها ويقرأون الآية بشكل مختصر هكذا: ﴿فَمَا ٱسْتَمْتَعْتُم بِهِۦ مِنْهُنَّ﴾ ﴿إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى﴾.

إن الإجماع والضرورة في الإسلام قائمة على ثبوت مشروعية الزواج المؤقت والعمل به، وكل ما يترتب على الزواج الدائم يترتب على الزواج المؤقت، إلا الطلاق فالمدة بالوقت المعين تُغني عن الطلاق.

وقد نقل عن ابن عباس أن آية المتعة من المحكمات ولا يمكن نسخها لأنها في سورة النساء وهي مدنية، وقد روى جماعة من أكابر علماء السنة أن آية المتعة غير منسوخة، ومنهم الزمخشري في تفسير «الكشاف» وفي البخاري عن عمران بن حصين أنه قال: نزلت آية المتعة في كتاب الله ففعلناها في زمن رسول الله حتى مات، وقد قال رجل برأيه ما شاء، ويقصد به عمر.

وفي «مسلم» عن عطاء أنه قال» قدِم جابر بن عبد الله الأنصاري وهو الصحابي الجليل، فجئناه في منزله فسأله القوم عن أشياء ثم ذكروا المتعة فقال: نعم استمتعنا على عهد رسول الله ﷺ وعلى عهد أبي بكر وعمر حتى نهى عنها عمر.

إن حليّة المتعة أباحها أهل البيت وخاصة الإمام عليّ وقال: «لولا نهي عمر عن المتعة ما زنى إلا شقيّ».

وقد روى هذا القول عن عليّ بن أبي طالب الطبري في تفسيره الكبير، ومن القواعد المقرَّرة في علم أصول الفقه أنه إذا تعارضت الأخبار، سقطت عن الحجة والاعتماد، وصارت من المتشابهات ولا بد من رفضها، والعمل بالمحكمات لذلك يتعين القول بجوازها وحليتها حتى اليوم.

إلا ان الخليفة عمر قد اجتهد برأيه لمصلحة رآها بنظره مصلحة زمنية ومنفعة وقتية وقد تواتر النقل عنه أنه قال: «متعتان كانتا على عهد رسول الله وأنا أحرّمهما وأعاقب عليهما» ولم يقل أن رسول الله حرمهما، وجعل العقاب منه لا من الله سبحانه وتعالى.

وقد يكون عمر لم يكن قصده تحريم ما أحلَّ الله ولا تحليل ما حرّمه الله لأن حرام محمد حرام إلى يوم القيامة وحلاله حلال إلى يوم القيامة، ويقول اللهسبحانه عن نبيّه الكريم: ﴿وَلَوْ تَقَوَّلَ عَلَيْنَا بَعْضَ ٱلْأَقَاوِيلِ ﴿٤٤﴾ لَأَخَذْنَا مِنْهُ بِٱلْيَمِينِ ﴿٤٥﴾ ثُمَّ لَقَطَعْنَا مِنْهُ ٱلْوَتِينَ ﴿٤٦﴾ فَمَا مِنكُم مِّنْ أَحَدٍ عَنْهُ حَٰجِزِينَ﴾ [الحاقة: 44 ـ 47].

فلا بد أن يكون قصد عمر هو المنع الزمني وليس الديني، ولكن بعض المعاصرين لهم ومن بعده من المحدثين البسطاء غفلوا عن هذه الحقيقة واستكبروا يدَّعون بالنسخ وغيره، فاضطربت أقاويلهم ولو أنهم صححوا عمل الخليفة لأغناهم كل ذلك عن هذا الإرتباك.

وكان عمر قد نهى عن المتعة من أجل قضية وقعت استنكرها ورأى أن يُحرِّمها، وكان عمر معروف بالشدَّة والخشونة في عامة أموره مما أثار غضبه وتاثره الشديد الذي بعثه على المنع المطلق اجتهاداً منه، وإلا فأمر المتعة وحليتها بنص القرآن وبقول النبي والصحابة طوال زمن النبي ومدَّة خلافة أبي بكر وبرهة من خلافة عمر، وهذا الأمر أوضح من أن يحتاج إلى مباحث ومداولات طويلة عريضة.

وهذا الراغب الأصفهاني وهو من عظماء علماء السُّنة يحدثنا عن عبد الله بن عباس: أن أسماء بنت أبي بكر ذات النطاقين وهي أخت عائشة، بأن الزبير وهو من حواري رسول الله قد تزوجها بالمتعة وولدت له عبد الله بن الزبير.

والأصفهاني يذكر في رواية أخرى: أن يحيى بن أكتم شيخ البصرة قيل له بمن اقتديت في جواز المتعة؟ فقال: بعمر بن الخطاب، فقيل له: كيف وعمر كان من أشد الناس في تحريمها؟ قال: نعم، ولكننا قبلنا شهادته بأن الله ورسوله قد أحلها ولم نقبل تحريمه وقريب من ذلك ما ينقل عن عبد الله بن عمر.

أما من أعاظم علماء الشيعة المتقدمين، محمد بن إدريس الحلّي وهو من فقهاء الشيعة الإمامية في القرن السادس وله مؤلفات عديدة، قال في كتابه «السرائر» وهو من أهم كتب الفقه والحديث:

النكاح المؤجل مباح ومشروع في الكتاب والسنة المتواترة بإجماع المسلمين إلا أن بعضهم ادّعى نسخهُ، وإن دعواه تحتاج إلى تصحيح، وقد ثبت بالأدلَّة الصحيحة أن كل منفعة لا ضرر فيها هي مُباحة بضرورة العقل ومن ادعى ضرراً فعليه بالدليل وإثبات النسخ. أما من الوجهة الأخلاقية والاجتماعية فإن الإسلام هو الرحمة الإلهية التي نزلت على البشر، وقد جاءت الشريعة لسعادة الإنسان، وهو دين يتماشى مع كل الأزمات والأطوار ويسد حاجات البشر، ولذلك كان أكمل الأديان وخاتمة الشرائع، إذا لم يدَع نقصاً أو ثلمةً في أي ناحية من نواحي الحياة إلا وعالجها.

ثم أليس من ضرورات البشر، تلك الغريزة التي أودعها الله في الإنسان وهي ترافقه في سفره وغربته عن الأوطان للتجارة والكسب وطلب العلم أو المال أو الجهاد والحروب في مناطق بعيدة، ثم أليس الغالب على أولئك المسافرين من تلك الغريزة هم الشبان وما يقاربهم من اصحاء الأجسام.

ثم اليس الصانع الحكيم قد أودع بقدرته هذه الشهوة في الأزواج لحكمةٍ سامية وغاية شريفة وهي بقاء النسل وحفظ النوع البشري.

ومن المعلوم أن حال المسافرين لا تساعد على العلاقة الزوجية الدائمة، فإذا امتنع ذلك وكان متعذراً أو متعسراً، فالذي يطول سفره وهو في ربيع العمر، فتكون حالته موجبة للمشقَّة، وفي هذا نقص للحكمة في إلقاء الشباب في العسر والحرج وهذا ما تأباه شريعة الإسلام السمحاء، ويقول الله عز وجل: ﴿يُرِيدُ ٱللَّهُ بِكُمُ ٱلْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ ٱلْعُسْرَ﴾ [البقرة: 185].

وفي آية اخرى يقول سبحانه: ﴿وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي ٱلدِّينِ مِنْ حَرَجٍ﴾ [الحج: 78]. وقد يؤدي ذلك الحرمان للوقوع في الزنا والمفاسد التي ملأت الدنيا والأقطار بالفعل الحرام.

ولو أن المسلمين عملوا بالشرع الصحيح من العقد والعدَّة والضبط وحفظ النسل لانسدَّت بيوت المومسات والدعارة وأوصدت أبواب الزنا، ولأصبح الكثير من تلك المومسات مصونات محصَّنات، واستراح الناس من اللقيط، وانتشرت صيانة الأخلاق وطهارة الأعراق، وهناك الكثير من الفوائد التي لا تعد ولا تحصى، ولله در عليّ وتلميذه ابن عباس للحكمة الخالدة التي ذكرها الزمخشري في كتاب «الفايق» وغيرهما حيث قالا: «ما كانت المتعة إلا رحمةً رحَمَ الله أمته محمد ولولا من نهى عنها ما زنى إلا شقيّ».

أما الذي يقول بأن المتعة تسبب اختلاط الأنساب فالتشريع بوجوب إتمام العدّة هو حفظ للنسل وهي لازمة في الزواج الدائم وكذلك في الزواج المنقطع فلا يجوز لأحد أن يتزوج امرأة بزواج منقطع حتى تخرج من عدَّتها وإلا كان زانياً، وإذا ولدت المرأة ولداً أُلحق الولد بالزوج كما في الزواج الدائم.

وعلى الذين يريدون الإفتراء والكذب فعليهم أن يدلُّونا عن أي كتاب قرأوا فيه أنه يحلُّ للمرأة أن تتزوج زواج المتعة وهي لم تكمل عدَّتها، فهذه كتب الإمامية تُجمع على لزوم العدّة وهي على الأقل خمسة وأربعون يوماً وإذا كان بعض العوام والجهال الذين لا يبالون بارتكاب المعاصي، فهذا لا يختص بعوام الشيعة بل لعله في غيرهم أكثر.

ولكن العلاقة تكون حلالاً عندما تستند إلى فتوى علماء المذهب لا من يرتكبه عصاتهم، ومن يرتكب المتعة على هذا النحو فإن علماء الشيعة يعتبروه من الزنا المحض الذي يجب أن يقام عليه الحد، كيف وقد قال سيد البشر النبي ﷺ: «الولد للفراش وللعاهر الحجر». أما القول بأن أشراف الشيعة يتحاشون عن تعاطي زواج المتعة فهذه عفَّة واكتفاء بما أحلّ الله وهذا لا يدل على الكراهة الشرعية، وكان الصحابة والتابعين رضوان الله عليهم يتزوجون الزواج المؤقت ويرزقون بالأولاد الأفاضل. أما اليوم فإن الأشراف يأنفون من ذلك مع أنه حلال بنص القرآن العزيز، كما أنهم يتحاشون الطلاق، وهل هذا يدل على عدم مشروعية الطلاق.

على كل حال فإن دين الإسلام هو دين التوحيد لا دين التفريق وعلى المسلمين أجمعين أن يقتلعوا شجرة التشاجر والخلاف فيما بينهم من أصلها، وهذه المباريات والمناظرات في قضية المتعة قد انتهى دورها إلا عند الجهلاء.

الطلاق:

حقيقة الزواج هي علاقة تربط الرجل بالمرأة فيصبح كل منهما قريناً للآخر ومتكافئاً معه، مثل القران العينين واليدين، بعد أن كان كل منهما مبايناً للآخر، وهذا العقد والربط يدوم حتى الموت، إلى أن يحصل عامل وسبب يستوجب حلّ ذلك الربط وفك تلك العقدة، ويكون الطلاق لصالح الطرفين أو أحدهما، وقطع هذه الصلة له أسباب تؤدي إليه، وهي الكراهة والنفور، فإذا كانت من الزوج فالطلاق بيده، وإن كانت من الزوجة فالخلع بيدها، وإذا كان منهما فلكل واحد منهما أحكام وشروط، وقد ورَدَ الكثير من الأحاديث التي تدل على كراهة الطلاق، حتى قيل: «إن أبغض الحلال إلى الله الطلاق» فكانت الحاجة إلى السعي لإرشاد العباد إلى مواضع الجهل بالعاقبة وتقول الآية الكريمة: ﴿فَعَسَىٰٓ أَن تَكۡرَهُواْ شَيۡـٔٗا وَيَجۡعَلَ ٱللَّهُ فِيهِ خَيۡرٗا كَثِيرٗا﴾ [النساء: 19].

والمطلوب هو التروي، من اجل ذلك جُعِل للطلاق قيوداً كثيرة وله شروط عديدة حرصاً على تقليله وندرته ومن هذه الشروط عند الإمامية حضور شاهدين عدلين: ﴿وَأَشۡهِدُواْ ذَوَيۡ عَدۡلٖ مِّنكُمۡ﴾ [الطلاق: 2] لأن وجود شخصين عادلين هو وسيلة لإعادة الوئام وقطع موارد الخصام بين الزوجين، فإن لأهل الصلاح مكانةً وتأثيراً في النفوس، كما أن واجبهم الإصلاح والموعظة وإعاد ة مياه الصفاء إلى مجاريها بين الزوجين المتخاصمين، فإذا لم تنجح مساعيهم فتكون المساعدة في التخفيف والتلطيف في عدة أمور أما عند إخواننا السنة، فلا يشترط حضور الشخصين العادلين، ولذلك اتسعت دائرة الطلاق عندهم، لأن مجرد أن يقول الزوج لزوجته وهو في حالة الغضب أنتِ طالق فيحصل الطلاق، أما عند الإمامية فمن الشروط أن لا يكون الزوج في حالة غضب، وأن تكون الزوجة طاهرة من الحيض ولم يواقعها زوجها أثناء طهرها وقد اتفقت الإمامية على أن الطلاق

مرتين ولو اراد زوجها مراجعتها لا تحتاج إلى تحليل ولكن في الطلاق الثالث لا تحلّ له حتى تنكح زوجاً غيره.

والقرآن يقول: ﴿ٱلطَّلَٰقُ مَرَّتَانِۖ فَإِمۡسَاكُۢ بِمَعۡرُوفٍ أَوۡ تَسۡرِيحُۢ بِإِحۡسَٰنٖۗ﴾ [البقرة: 229]، إلى أن قال جل شأنه: ﴿فَإِن طَلَّقَهَا فَلَا تَحِلُّ لَهُۥ مِنۢ بَعۡدُ حَتَّىٰ تَنكِحَ زَوۡجًا غَيۡرَهُۥۗ﴾ [البقرة: 230].

وهناك أسباب أخرى موجبة لفسخ العقد وتفاصيل موجودة في كتب الفقه.

الفرائض والمواريث

الإرث هو عبارة عن انتقال مال أو حق من المالك بعد موته إلى آخر بسبب العلاقة بينهما من نسب أو سبب، فالحيّ هو الوارث، والميت هو الموروث، وقد عيَّن الله سبحانه حق الإرث بالفرض أو بالقرابة.

ـ الإرث بالقرابة للذكر مثل حظ الأنثيين في جميع طبقات الورثة، الأبوان والأبناء وإن نزلوا ثم الأجداد، وإن علوا والإخوة وإن نزلوا ثم الأعمام والأخوالن وهم أولو الأرحام وليس فيهم ذو فرض أصلاً.

وأما الوراثة بالفرض، فهي ستة منصوص في القرآن، ومفصَّلة في كتب الفقه.

وليس في مسائل الإرث خلاف يعتدّ به بين الإمامية وجمهور علماء السنة إلا في مسألتين.

الأولى: إن كان للأبوين بنت واحدة فإنها ترث كل شيء من أبويها، وأما عند السنة فترث النصف.

والثانية: فإن الولد الأكبر الذكر يخصونه بالأشياء الشخصية التي كانت لأبيه كالثياب والمصحف والخاتم زائداً على حصته من الميراث، والولد يقضي عن والده ما ترك من صيام أو صلاة شرط أن لا يكون الأب سفيهاً فاسداً الرأي.

الوقف والهبات والصدقات

المال الذي هو ملك لك وتريد أن تخرجه عن ملكيتك، كالذي يعتق عبداً فيكون حراً، ومثل على ذلك: أن يكون لك دار أو أرض تفكها عن الملكية وتجعلها معبداً أو مسجداً، فهذا القسم لا يصلح أن يعود إلى الملكية أبداً مهما عرضت العوارض واختلفت الطواريء، أما الهبة، فلا يجوز لأحد الرجوع بهبته إلا إذا تراضيا.

وأما الصدقات فلا يجوز الرجوع في شيء منها.

وكذلك الوقف فلا يجوز فيه أصلاً، لا بيعة ولا قسمته، سواء كان وقف خاص أو وقف عام.

القضاء والحكم

لولاية القضاء منزلة معينة ومقام منيع، وهي عند الإمامية غصن من دوحة النبوَّة والإمامة، ومرتبة من الرئاسة العامة وخلافة الله على الأرض، يقول الله تعالى: ﴿يَـٰدَاوُۥدُ إِنَّا جَعَلْنَـٰكَ خَلِيفَةً فِى ٱلْأَرْضِ فَٱحْكُم بَيْنَ ٱلنَّاسِ بِٱلْحَقِّ﴾. ويقول: ﴿فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا۟ فِىٓ أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا۟ تَسْلِيمًا﴾ القضاة والحكام أمناء على النفوس والأعراض والأموال، ولذا كان خطر القاضي عظيماً وعثرته لاثقال، يقول الإمام عليّ عليه السلام: القاضي بين جمرتين من نار، يا شريح[1] قد جلست مجلساً لا يجلسه إلا نبي أو وصيّ أو شقي».

ويقول الرسول صلى الله عليه وآله وسلم: «من جعل قاضياً فقد ذُبِحَ بغير سكين» القضاء هو عبارة عن تشخيص الموضوعات والحكم عليها، ويحتاج إلى قوَّة حدس وحدَّة ذكاء أكثر مما تحتاجه الفتوى واستنباط الأحكام الكليَّة بكثير، ولو تصدَّى له غير الحائز لتلك الصفات كان ضرره أكبر من نفعه وخطره أكثر من صوابه ، وأما تصدّي غير المجتهد العادل الذي له أهلية الفتوى فهو عندنا معشر الإمامية من أعظم المحرَّمات وأفظع الكبائر، وقد رأينا أعاظم علماء الإمامية من الأساتذة والأعلام يتورعون من الحكم والقضاء، ويحكمون غالباً بالصلح بين الفرقاء والمتخاصمين:.

وإذا حكم الحاكم القاضي الجامع للشرائط، فالرادُّ عليه المتخلف عن إتّباع حكمهِ كالرادِّ على الله تعالى.

---

(1) شريح كان قاضياً.

الصيد والذباحة:

كل حيوان ميّت هو حرام ونجس، والحيوان النجس ميتاً أو حياً، هو الكلب والخنزير وما عدا ذلك فهو طاهر، والحيوان الذي لم يذبح ذبحاً شرعياً طيراً كان أو وحشياً أو أهلياً فهو نجس؛ أما إذا مات بالتذكية فهو طاهر، ثم إن كان من السباع أو الوحوش فهو حرام الأكل وإن كان طاهراً.

التذكية هي الذبح الشرعي، ويجب أن يكون الذابح مسلماً وعليه أن يسمي باسم الله وعليه أن يستقبل القبلة وأن يفري الأوداج الأربعة أما الإبل فيكفي نحرها عوض الذبح.

حيوان البحر لا يحل إلا ما كان له فلساً.

الأطعمة والأشربة

الحيوان ثلاثة أنواع: حيوان الأرض وحيوان الماء وحيوان الهواء.

وقد عرفنا أن حيوان البحر لا يحل فيه إلا السمك وبيضه، وحيوان الأرض لا يحل إلا الغنم والبقر وكبش الجبل والغزلان والخيل أما الأرنب فهو حرام وكذلك الثعالب والضب واليربوع وأمثالها من الوحش فهي حرام.

وتحرم الحشرات مطلقاً كالخنافس والديدان والحيات وأما حيوان الهواء وهي الطيور فيحرم منها الصقر والنسر والبازي ونحوها، وأما ما عداها فهو حلال والطير الأرضي فهو حلال.

الخفاش والطاووس والزنابير والنحل ونحوها فهي كلُّها محرُّمة، وأكل الغراب حرام والحيوان الذي يأكل من الجيفة فهو حرام، وكل ما يأكل من النبات فهو حلال.

1 . كل مغصوب حرام

2 . كل نجس حرام

3 . كل مضرٍّ حرام

4 . كل خبيثٍ حرام واعظم المحرَّمات البول، والخمر وأخواتها وقد ورد التحريم والتحذير من الخمرة في أحاديث كثيرة عن الأئمة، وتكررت منهم أن لعنة الله على عاصرها وجابيها وبائعها وشاربها، وتعرف بشرعنا بأم الخبائث وهناك فروع كثيرة لا يتسع لشرحها الكتاب.

البداء

مما يقال عن الشيعة ويتهمهم في دينهم بأنهم يؤمنون «بالبداء» لأنهم تخيلوا أن البداء هو أن الله يظهر ويبدو له أمراً لم يكن عالماً به، وهذا الفهم للبداء جهل شنيع وكفر فظيع لأنه يتهم الله تعالى بالجهل، وحاشى الإمامية بل وسائر فرق المسلمين من هذه المقالة التي هي عين الجهالة والضلالة.

إن البداء التي تقول به الشيعة، هو إظهار أمر كان يعلمه النبي والملائكة ثم مُحيَ ولكن في علم الله المخزون المصون الذي لم يطّلع عليه لا ملك مقرَّب ولا نبي مرسل ولا وليّ، هذا المقام عُبِّر عنه «بأم الكتاب» ويشار إليه بالآية الكريمة: ﴿يَمْحُواْ ٱللَّهُ مَا يَشَآءُ وَيُثْبِتُۖ وَعِندَهُۥٓ أُمُّ ٱلْكِتَٰبِ﴾ [الرعد: 39].

والبداء في عالم التكوين كالنسخ في عالم التشريع، فكما أن لنسخ الحكم وتبديله بحكم آخر مصالح واسرار بعضها غامض وبعضها ظاهر، فكذلك الإخفاء والإبداء في عالم التكوين، وأن قسماً من البداء تطلع عليه النفوس المتصلة بالملأ الأعلى مثل الأنبياء، ولكنهم لم يطلعوا على علم الله كلّه. يحكى أن النبي عيسى إطّلع على موت عروس في ليلة زفافها ولكن هذه العروس لم تمت لأنها تصدقت على فقراء كانت تتصدق عليهم ولم تنسى القيام بهذا العمل الصالح حتى في ليلة عرسها، ولما سُئِل عيسى عن ذلك، ذهب إليها وسألها ماذا فعلت تلك الليلة من عمل صالح فأخبرته.

ولولا البداء لم يكن هناك فائدة للصدقة التي تدفع البلاء ولا للدعاء ولا للشفاعة ولا لبكاء الأنبياء والأولياء وشدة خوفهم وحذرهم من الله مع أنهم لم يخالفوه طرفة عين، إنما خوفهم من ذلك العلم المصون الذي لم يطلع عليه احد ومنه يكون البداء.

التقية

ومن الأمور التي يشنع بها بعض الناس على الشيعة، قولهم بالتقية وهم يجهلون معناها وموقعها ومغزاها، ولو تريثوا في الحكم وتبصّروا لعرفوا أن التقية لا تختص بالإماميةن بل هي من الضرورات العقلية والغريزة الإنسانية، وهي في أساس الشريعة الإسلامية وأحكامها، والإنسان مجبول على غريزة الدفاع عن نفسه والمحافظة على حياته، مع أن الإنسان المؤمن مستعد أن يبذل حياته في سبيل الله والدفاع عن الحق، وأما في غير ذلك فإن التفريط بالنفس وإلقاءها في الهلكة ومواطن الخطر فهو سفه وحماقة لا يرتضيه عقل ولا شرع.

وقد أجازت الشريعة المقدَّسة للمسلم في مواطن كثيرة عندما يخاف على نفسه أو عِرضِه أو يخفي إظهار الحق وأن يعمل به سراً، ريثما تنتصر دولة الحق وتتغلب على الباطل كما أشار غليه الله سبحانه بقوله: ﴿إِلَّآ أَن تَتَّقُواْ مِنۡهُمۡ تُقَىٰةٗ﴾ [آل عمران: 28].

وقوله: ﴿إِلَّا مَنۡ أُكۡرِهَ وَقَلۡبُهُۥ مُطۡمَئِنُّۢ بِٱلۡإِيمَٰنِ﴾ [النحل: 106]. وقصة عمار بن ياسر وابويه وتعذيب المشركين لهم ولجماعة من الصحابة وإجبارهم على الشرك وإظهارهم الكفر، فهي قصة مشهورة، وقد أخطر هؤلاء الصحابة أن يظهروا الكفر تقيّة من العذاب الظالم.

والعمل بالتقيّة له أحكامه الثلاثة:

1 ـ التقية غير واجبة إذا كانت التضحية بالنفس من غير فائدة.

2 ـ وإذا كانت التضحية بالنفس من أجل تقوية الحق فله أن يضحي بنفسه أو أن يحافظ عليها.

3 . يحرم العمل بالتقية لو كانت نتيجة عدم التضحية، تقوي الباطل وتحيي الظلم والجور.

إن اللجوء إلى التقية عند الشيعةوسببه ومسؤوليته على من سلبهم الحرية وجعلهم يعملون بالتقية ليحموا أنفسهم من الاستبداد والظلم والتسلط، فعندما تغلَّب معاوية واستولى على الخلافة بغير رضا الناس وصار يتلاعب بالشريعة الإسلامية حسب أهوائه، وصار يتتبَّع شيعة عليّ ويقتلهم على الظن والتهمة، وسارت الدولة الأموية والمروانية على نفس طريقته العوجاء وسياسته الخرقاء، ثم جاءت بعدها الدولة العباسية فزادت ظلماً وعدواناً، مما اضطرّ الشيعة غلى كتمان عقيدتهم في بعض الأمور وإظهار ما يقتضيه مناصرة الحق ومكافحة الضلال والكفر، وكان الكثير من رجالات الشيعة وعظمائهم قد وضعوا التقية تحت أقدامهم وقدّموا أنفسهم قرابين للحق على مشانق البغي وضحّوا بهذه الأنفس الشريفة ضد الظلم والجور.

على المسلمين أن يتذكروا ويقرأوا التاريخ عن شهداء «مرج عذراء» وهي قرية من قرى الشام، وهم أربعة عشر من رجال الشيعة ورئيسهم ذلك الصحابي الجليل الذي أنهكه الورع والعبادة وهو «حجر بن عدي الكندي". الذي كان قائداً من قادة فتح الشام، والذي شهد معركة القادسية وواقعة الجمل وصفين مع عليّ، وقد قتله معاوية صبراً بدون ذنب أو تهمة، ثم صار يقول: ما قتلت أحداً إلا وأنا أعرف بأي ذنب قتلته ما عدا حجر، وكان حجر يؤمن بالتقية ولكن مقدار الظلم والضلال جعله يضحي بنفسه ليفضح معاوية وبني أمية.

وهل يتذكر ا لمسلمون، الصحابي الجليل عمرو بن الحمق الخزاعي، وعبد الرحمن بن حسان العنزي، وهو من أصحاب عليّ وقد أرسله زياد بن ابيه إلى الشام فدعاه معاوية للبراءة من عليّ فأغلظ عبد الرحمن الجواب، فردّه معاوية إلى زياد فدفنه حيّاً.

وميثم التمار كان عبداً اشتراه علي بن أبي طالب وأعتقه وأمر زياد بن أبيه بصلبه، وصار ميثم يحدِّث بفضائل بني هاشم وأهل البيت وهو مصلوب فقيل

لابن زياد لقد فضحكم ذلك العبد فأمر بلجمه وكان أول من أُلجِمَ في الإسلام ثم طعن بحربة في سنة 60 هجرية ـ 680م.

ورشيد الهجري وابو عبد الله بن يقطر الذي شنقهم ابن زياد في كناسة الكوفة، وكان أبو عبد الله بن يقطر خادماً عند رسول الله، وقد ولد ابنه عبد الله قبل ولادة الحسين بثلاثة أيام، وقد أرسله الحسين إلى مسلم بن عقيل فقبض عليه وأُرسِلَ إلى عبيد الله بن زياد،. فسأله عن حاله فلم يجب فقال له: إصعد القصر والعن الكذاب ابن الكذاب، فصعد وقال: أيها الناس أنا رسول الحسين بن عليّ ابن بنت رسول الله، جئت إليكم لتنصروه وتؤازروه على ابن مرجانة وابن سميّة الدعيّ ابن الدعيّ، فأمر عبيد الله فألقي من فوق القصر (تاريخ الكوفة).

هؤلاء الرجال والمئات من أمثالهم، هانت عليهم نفوسهم وضحّوا بها في سبيل الحق، وكانوا يعرفون التقية ولكنهم وجدوها حراماً عليهم لو سكتوا وعملوا بها لضاعت البقية من الحق وأصبح دين الإسلام هو دين معاوية ويزيد وزياد بن أبيه وعبيد الله بن زياد، دين المكر والغدر والقتل والنفاق والخداع، دين كل رذيلة، وأين هذا من دين الإسلام.

وعلى المسلمين أن يتذكروا الحسين وأصحابه سلام الله عليهم جميعاً الذي هم سادة الشهداء وقادة أهل الإباء والحق، هؤلاء وجدوا العمل بالتقية حراماً عليهم، وقد يجد بها غيرهم واجباً، ويجد آخرون العمل بها رخصة وجوازاً حسب اختلاف الظروف.

وقد روي عن مسيلمة الكذاب أنه ظفر برجلين من المسلمين فقال لهما: إشهدا أني رسول الله، فقال أحدهما: أشهد أن محمداً رسول الله وأنك مسيلمة الكذاب، فقتله وشهد الآخر بما أراد منه فاطلقه، ولما بلغ خبرهما إلى رسول الله ﷺ قال: أما الأول فقد تعجَّل الرواح إلى الجنة وأما الآخر فقد أخذ بالرخصة، ولكل أجره. فيا أيها المسلمون لا تحوجوا إخوانكم إلى العمل بالتقية وتعيّروهم بها ونسأل الله أن يختم لنا ولكم بالحسنى ويجمع كلمتنا على الحق والهدى إن شاء الله والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

محتويات الكتاب

مقدمة المحقِّق 3
مقدمة 4
التعريف بمؤلف الكتاب 5
مقدمة الطبعة الثانية بقلم المؤلف 7
بواعث التأليف 10
أخطاء أحمد أمين: 10
جهل الخاصة والعامة: 11
تفنيد آراء أحمد أمين: 12
هل هم الطبقة الأولى من أعيان صحابة النبيّ وأبرارهم: 12
والطبقة الثالثة من بعدهم من التابعين: 15
ومن الطبقة الرابعة من التابعين في القرن الرابع: 15
من شعراء الشيعة العلويين: 15
موقف الشيعة من هذه المقالات: 18
منشأ التشيُّع 21
التشيع في العهد الأموي والعباسي 25

مكانة الصادق: 27
عقائد الشيعة 29
في وظائف العقل 32
التوحيد: 32
النبوَّة: 32
الإمامة 33
العدل: 35
المعاد: 36
في العبادات 37
الاجتهاد: 39
ما هي الشروط التي يجب أن تتوفر للمجتهد عند الإمامية: 39
والفقه يبحث أحكام العبادات وهي ستة: 39
الصلاة: 39
الصوم: 40
الزكاة: 40
زكاة الفطر: 40
الخمس: 40
الحج: 41
الجهاد: 41
الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر: 42
أنواع المعاملات 43
زواج المتعة: 44
الطلاق: 48

الفرائض والمواريث 50
الوقف والهبات والصدقات 51
القضاء والحكم 52
الصيد والذباحة: 53
الأطعمة والأشربة 54
البداء 55
التقية 56
والعمل بالتقيَّة له أحكامه الثلاثة: 56
محتويات الكتاب 59